الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشّعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمّه لخضر– بالوادي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الأحلام والرّؤى : الدلالات الرمزية في تفسير الأحلام لابن سيرين

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة ماستر (ل.م.د) في الأدب العربي
تخصص: أدب شعبي

إعداد الطالبين :
– الغالي نعيمي
– علي شمسة

إشراف الدّكتورة :
– عقيلة قرورو

الموسم الجامعي : 1438–1439هـ/2017–2018م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشّعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمّه لخضر– بالوادي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الأحلام والرّؤى : الدلالات الرمزية في تفسير الأحلام لابن سيرين

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة ماستر (ل.م.د) في الأدب العربي
تخصص: أدب شعبي

إعداد الطالبين :
– الغالي نعيمي
– علي شمسة

إشراف الدّكتورة :
– عقيلة قرورو

الموسم الجامعي : 1438–1439هـ/2017–2018م

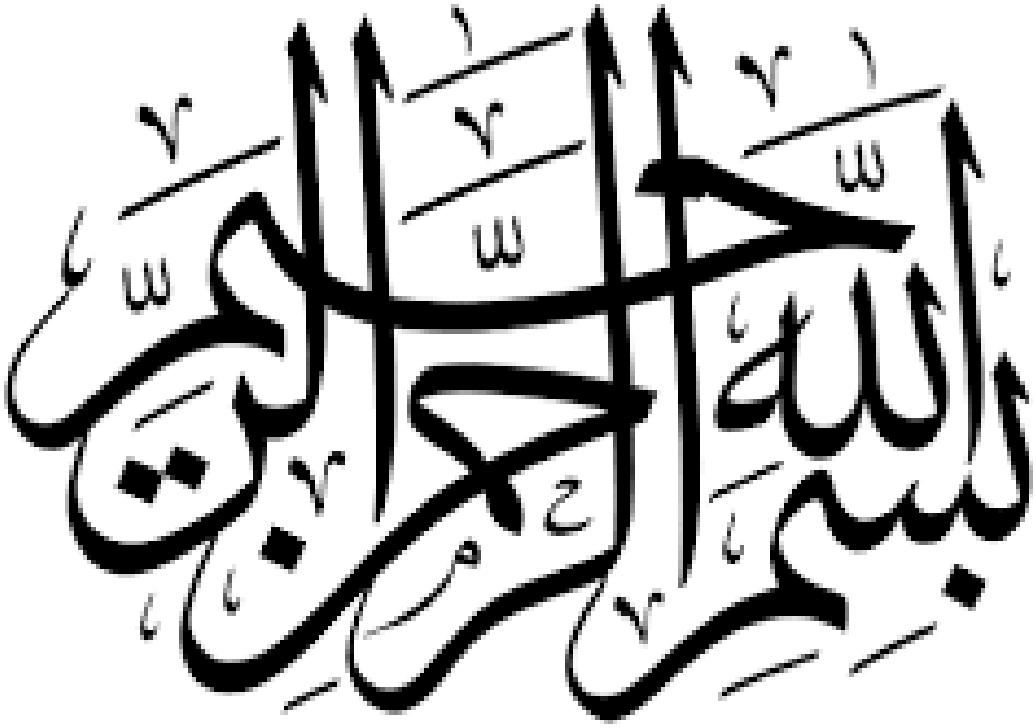
بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا
abdofonts@gmail.com
facebook.com/mos.hafmisr

إهـــــداء...

إلى الذين حلموا أن نصلَ ... **وَالدِيـنا** ...

لهما كل الحبّ ...

إلى زوجتي وأبنائي ...

إلى أخي وأخواتي ...

إلى أخي و رفيق الدرب عبد المالك صحراوي

أهدي هذه الثمرة .

الغالي

إلى الوالدين الكريمين ... إلى إخوتي وأخواتي ...

إلى الأصدقاء ... وإلى رفقاء النضال... أهديهم هذا العمل

عـلـي

وشُكْـــــرٌ...

وامتنان موصول إلى الدكتورة المشرفة . **عقيلة قرورو** . على ما أسدته من توجيهات ونصائح ومتابعة لمسيرة هذا البحث تصورا ومنهجية...

المقدمة

جُبل الإنسان على الحلم ، فكان من فطرته الإنسانية أن يرى في منامه ما يبشره أو ينذره .. فمن منا لا يحلم؟ ومن منا لا تغمره السعادة إن رأى ما يفرحه ؟ أو ينتابه الفزع إن تراءى له ما يحزنه؟ وبين الفينة والأخرى نسمع أن أحدهم رأى رؤيا أو حلما فنتفاعل معه أو يسرد علينا منامه فنبادره "خير إن شاء الله "

ومن هذا المنطلق فالأحلام والرؤى هي تواصل بين عالم الغيب والذات الحالمة ، وبين هذه الذات وعالمها الباطني ثم بين هذه الذات والمؤول ، ولذا تبوأت مكانة شاهقة في الفكر الإنساني عموما والإسلامي خصوصا ، باعتبار الرؤيا جزءا من النبوة كما صرح الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا:« لم يبق من النبوة إلا المبشرات " قالوا وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : " الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له» .

واشتهر في عصر التابعين من العلماء محمد بن سيرين بخبرته في تأويل الرؤى كما تناقله المؤرخون وأصحاب السير .

وبحثنا الموسوم بـ (**الأحلام والرؤى :الدلالات الرمزية في تفسير الاحلام لابن سيرين**) يتناول عموما النص المنامي من حيث خصوصيته الرمزية وأبعاده الدلالية ، ويمكننا أن نفكك العنوان إلى ثلاثة أقسام:

1-(الاحلام والرؤى)المشكلة للنص المنامي الذي له خصوصيته مفهوما ونوعا ووظيفة ، وتعلق هذا النص بمصطلح التأويل والتفسير والتعبير.

2-(الدلالات الرمزية) وهي خصوصية يتمظهر فيها النص المنامي من جانب بنائها الرمزي , فالنص المنامي نص قائم على الرمز , له علاقاته بزمان ومكان وحال الرائي وحياته النفسية والواقعية

3-(ابن سيرين) وهو شخصية عربية إسلامية من التابعين خَبُرت الفعل التأويلي في للرؤى , فابن سيرين هو المؤول أو المتلقي .

وعليه فالعنوان يتمحور حول ثلاثة عناصر جوهرية هي (الرؤيا) و(الرموز)و(المؤول), فالرؤيا خطاب مشحون بالرموز يسردها الرائي والرموز تستدعي التأويل من المؤول , وعلى هذا الأساس يتجلى لنا نصان (نص المنام) و(نص التأويل) وكلا النصين فضاءان للقراءة الدلالية والرمزية والسيميائية .

وقد اهتم بالأحلام والرؤى القدامى والمحدثون كل حسب وجهته , **فكان للموضوع أهميته** الكبرى في الفكر الإنساني وتلك إشارة إلى قيمتها ، ولذا انشغل بها الباحثون والدارسون في الجامعات بالبحث والدراسة , وعلى سبيل المثال دراسة الباحث سعيد يقطين في كتابه (السرد العربي : المفاهيم والتجليات) ودراسة الدكتور سر الختم عثمان الأمين في كتابه (نظرية الاتصال في الرسالة الإسلامية) ومن الغرب نشير إلى دراسة فرويد في كتابه (تفسير الأحلام) وعلاقتها بالتحليل النفسي ودراسة إريك فروم في كتابه(اللغة المنسية)

وعليه كان لنا نزوع نفسي في **اختيارنا لهذا الموضوع** كونه شيقا وممتعا في الدراسة , بالإضافة إلى أملنا – محاولين- أن نسهم في إثراء الساحة الدراسية في حقل الأدب الشعبي وإعطاء شحنة دافعة لمسيرة الدراسات فيما يخص الأحلام والرؤى .

ولما كان بحثنا يرتكز على عنصر الرائي والرؤيا والرمز والمؤول وعلاقة هذه العناصر بالتلقي , حاولنا **ضبط الإشكالية** الآتية: **كيف تلقى ابن سيرين خطاب النص المنامي ؟** وأدرجنا – مناقشة لهذه الإشكالية – أسئلة أهمها :

1-ما مفهوم الأحلام والرؤى وما الفرق بينهما ؟ وإلى أي مدى يمكن توظيف مصطلح التأويل والتفسير والتعبير في تلقي النص المنامي ؟

2-هل للأحلام والرؤى وظيفة فاعلة في ماضي الإنسان و حاضره و مستقبله ؟ أم لها دور فاعل في تحليل نفسيته وشخصيته؟

3- هل كان ابن سيرين مساهما في بناء مدرسة عربية إسلامية في علوم الحلم والرؤيا, لها أصولها وآلياتها في التأويل؟

4- هل يمكن اعتبار النص المنامي مرآة عاكسة لنفسية الرائي ؟

5-هل يمكن استثمار نظريات الدرس اللغوي الحديث في قراءة سيميائية للنص المنامي ؟

وتفاعلنا مع **المصادر والمراجع** لمناقشة هذه الأسئلة تفاعلا سلسا لوفرتها فكان كتاب (تفسير الأحلام الكبير) لابن سيرين مورد النماذج المنامية المدروسة كما أفدنا من كتابه (تعبير الرؤى الصغير) ، كذلك (المقدمة) لابن خلدون و(عالم الأحلام) لسليمان الدليمي و(تفسير الأحلام) لفرويد و(الأحلام والرموز) لعلي زيعور و(السرد العربي) لسعيد يقطين كما أفدنا من كتاب (قضايا الشعرية) لجاكبسون ، مستندين على بعض المعاجم اللغوية وعلى كتب السير والتراجم والتفسير .

وخطة بحثنا مقسمة إلى مقدمة و فصلين تضمنا خمسة مباحث وتمهيدين وخاتمة ، أدرجنا ضمن الفصل الأول ثلاثة مباحث ، فخصص الأول لتأصيل المفاهيم لغة واصطلاحا (الأحلام , الرؤى , المنام , التأويل , التفسير, التعبير و الكهانة) وخصص الثاني لأنواع الأحلام والرؤى ووظائفها وعلاقتها بالتحليل النفسي , وأدرج تحت الثالث تمهيد تضمن ترجمة لابن سيرين وأربعة عناصر متعرضين فيها إلى أنواع الرؤيا عنده وأصولها وآليات تأويلها ودرجات تعبيرها

أما الفصل التطبيقي ، فتناول تلقي نصوص الرؤيا عند ابن سيرين وقراءة في سيميائية الرمز والأبعاد الدلالية فيها , وتضمن تمهيدا ومبحثين ، تناول التمهيد الرؤيا عند ابن سيرين ووظائف الاتصال بين الرائي والمؤول ، وحللنا في المبحث الأول رؤيا واحدة وفق الوظائف اللغوية للاتصال , وفي المبحث الثاني حللنا رؤيتين على نفس المنوال ، مع رصد لرموز الرؤيا الأولى ، وقراءة سيميائية في اللون للرؤيا الثانية ، لنخلص إلى خاتمة رصدنا فيها أهم النتائج المتحصل عليها خلال دراستنا .

ونظرا لطبيعة الموضوع فقد سايرَنا في **تحليلنا المنهج** التاريخي المناسب للمبحث الثالث من الفصل النظري وكذا المنهج التأويلي المنسجم مع تفكيك الرموز وقراءتها واستأنسنا بالتحليل السيميائي قراءة للدلالات الرمزية واللون.

أما بالنسبة **للصعوبات** فقد وجدنا صعوبة في تحديد واختيار نصوص الرؤى التي ستكون محل الدراسة والتحليل والقراءة ، وذلك لكثرتها وتنوع مادتها ، كما أن المنهج المتبع للتحليل لم يتضح بدقة في البداية ، ولكن بتواصلنا مع الدكتورة المشرفة ذللت هذه العقبة ولله الحمد .

فلها منا **الشكر** الموصول لما أسدته لنا من توجيهات فيما يخص التصور العام للبحث والخطة وتصويباتها لنا في المنهج وملاحظاتها الدقيقة في التحليل والقراءة .

الفـــصـــل الأول

الأحـــلام والـــرؤى :

المفاهيم والأنواع والوظائف وآليات التأويل عند ابن سيرين

المبحث الأول : تأصيل المفاهيم (لغة واصطلاحا)

1) – مفهوم الأحلام :

أ– لغة : الأحلام جمع (حُلُم) يقول ابن منظور في لسان العرب :"..الحُلُم والحُلْم :الرؤيا والجمع أحلام يُقال حَلَم : إذا رأى وتحَلَم إذا ادعى الرؤيا كذبًا " [1]

يؤكد نفس المعنى الفيروز آبادي في القاموس المحيط ويُضيف :" ..وحلم به وعنه رأى له رؤيا أو رآه في النوم " [2].

وعليه – ومن خلال التعريفين – أن الحُلم هو كل ما يراه الإنسان في عالم النوم يراه الفرد ذاته أو يُرى له والحلم يأخذ معنى الرؤيا .

ب–اصطلاحا : ليس هناك فرق بين التعريف اللّغوي والمفهوم الاصطلاحي للحلم لذا فالحلم هو تلك التصورات التي يراها الإنسان في نومه بفعل قوة متخيلته وما هو عليه المنظور الإسلامي[3] فالحلم يُضاف إلى الشيطان لا إلى الله .

ولم ترد لفظة (حلم) بالمفرد في القرآن الكريم بل وردت بصيغة الجمع (أحلام) فقال تعالى : " ﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤ ﴾[4] وقال ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٥ ﴾[5]

2)– مفهوم الرؤى :

أ– لغة : هي جمع رؤيا يقول الفيروز آبادي "..والرؤيا ما رأيته في منامك ،وجمعها رُؤى "[6].

---

[1] – أبو الفضل جمال الدين ابن منظور .لسان العرب .ج12، عمود2دار صادر، دط، بيروت، د ت.ص 145.

[2] – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي .القاموس المحيط .مؤسسة الرسالة.ط8.بيروت؛لبنان.2005.ص1096.

[3] –ينظر:نيريس دي .الأحلام ؛تفسيرها ودلالاتها .تعريب وإضافة :محمد منير مرسي .عالم الكتب.ط1.القاهرة .2004.الصفحات 49وما بعدها.

[4] – سورة يوسف الآية 44.

[5] – سورة الأنبياء الآية 05.

[6] –القاموس المحيط ، ص1285.

ومنه نرى أن المعنى اللغوي للرؤيا هو نفسه الذي حُقّق للحلم ,فمصطلح الرؤيا أعمّ من الحلم .

ب– اصطلاحا : يرى القاضي بكر بن العربي أنّ " الرّؤَيا إدراكات علقها الله تعالى في قلب العبد على يد ملك أو شيطان إمّا بأسمائها أي حقيقتها وإمّا بعبارتها وإمّا تخليط " [1].

وهنا يؤكد ابن العربي على حقيقة مصدر الرؤيا فنسبها إلى الله لأنه خالقها وإن كان جمع في الرؤيا ما كان من الملك أو الشيطان أو النفس .

والمتأمل للآيات القرآنية يجد أن لفظة الرؤى لم ترد جمعًا بل وردت مفردة فقط في الآيات الآتية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[2] ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾[3] ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[4] ﴿ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ ﴾[5].

ومن خلال هذا العرض اللغوي للفظتي الأحلام والرّؤى نستنتج أن معنييهما يقصد به كل ما يراه الإنسان في منامه ويركبه خياله .

*** ولكن السؤال :هل هناك فرق بينهما ؟**

الإجابة :نعم فقد ورد فيما رواه البخاري :قوله صلى الله عليه وسلم "الرّؤيا من الله والحُلُم من الشيطان "[6]،وعليه فالفرق واضح إذْ الرؤيا تكون من الله تعالى والحلم تكون من الشيطان ،لذا فكل ما ما فيه الخير والصلاح والصدق فهو من الله وكل ما فيه الشر والتخويف والباطل فهو من الشيطان .

---

[1] –ينظر : احمد بن علي بن حجر.فتح البارئ لشرح صحيح البخاري ، ج12 ، دار الرياض للتراث القاهرة مصر ،1986 . ،ص353.

[2] –سورة يوسف ،الآية 43.

[3] –سورة الإسراء، الآية 60.

[4] –سورة الصافات ،الآية105.

[5] – سورة يوسف ،الآية 5.

[6] –رواه البخاري ، باب التعبير، رقم369.

يقول علي الطهطاوي مشيرًا إلى الفرق :" الرؤيا والحُلم عبارة عمّا يراه النائم في نومه من الأشياء ولكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن وغلب الحلم على ما يراه من الشّر والقبيح "[1].

3)- مصطلح المنام :

أ- لغة : إن المنام هو نفسه النوم أي حال الإنسان في الرقاد يقول الفيروز آبادي :" النوم النعاس الرقاد ..وهو نائم ونؤوم ونومٌ جمع نوّمٌ.. والمنام :موضعه ..ونامت الريح سكنت..ونام الرجل :تواضع لله تعالى "[2].

ب- اصطلاحا : يقول الدكتور علي زعيور إنّ المنام هو مجموع ما يراه أو يبصره النائم من الأشياء بل هو ما يرد أو ما يأتي للنائم ..فليس المنام نتاج العقل والقصد المتعمّد ،ولكن نوعًا من التفكير أو من الربط العقلاني فيما بين المكونات يُلاحظ أحياناً و عمومًا وكلمة منام هي الأكثر تداولا على الألسنة وعلى الصعيد اليومي أو الشعبي فالمنام هو الأصل والمصطلح الأعم "[3].

ومن خلال التعريفين نستخلص أن مصطلح المنام يحمل معنيين الأول يقصد به النوم أو الرقاد والثاني يقصد به ما يراه الإنسان في نومه .

وهنا نلتمس العلاقة المتلازمة ما بين ما يراه الإنسان من أحلام ورؤى وبين المنام لذلك نجد هذه الأخيرة تستخدم بمعنى الحلم أو الرؤيا أي أنها تشمل على معنى الإثنين أو تدل عليهما فتقول رأى منامًا وتأويل المنام "[4]،ومنه فالأحلام والرؤى تحدث في المنام أي النوم .

والمنام فيما يحمل معنى الحلم والرؤيا ورد ذكره في القرآن الكريم في قصة إبراهيم مع ابنه :

---

[1] -علي أحمد عبد العال الطهطاوي .تفسير الأحلام في كتاب الأئمة والأحلام ،بيروت لبنان ،دار الكتب العلمية،ط2، 2005،ص07.

[2] -القاموس المحيط ، ص1164-1165.

[3] - علي زيعور.تفسيرات الحلم وفلسفات النبوة ،دار المناهل ، ط1،بيروت –لبنان، 2000،ص36.

[4] -ينظر: نيريس دي , الأحلام ؛تفسيرها ودلالاتها , ص 50.

[1] ، كما وردت في الحديث الشريف القائل :" **إِذَا لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِكُمْ فِي مَنَامِهِ فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ النَّاسَ** " [2].

4- مصطلح التأويل :وهو الأكثر تداولا في حقل الأحلام والرّؤى وإن تعددت علاقته بالفلسفة والأصول والتصوف والأدب عموما .

أ- لغة :أَوَل ,الأوْلُ, الرجوعُ, آل الشيء يؤول أوْلاً ومآلاً, رجع وأوّل إليه الشيء رجعه... وأوّله وتأوّله :فسّره ..." [3] والتأويل بمعنى الرجوع ذكره التهانوي حيث قال:" التأويل مشتق من الأوْلُ وهو لغة الرجوع " [4].

وعليه فالتأويل لغة يشمل الرجوع والتفسير، فالأوّل كأن تقول " مآلُ هذا الأمر" أي مردّه ومرجعه والثاني كأن تقول :" أوّلت كلامك " أي فسّرته .

ب- اصطلاحا : التأويل عموما هو نقل ظاهرة اللفظ عن موضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل .لولاه وما تُرك ظاهر اللفظ "[5] أو " ردَّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر"[6].

وعلى هذا الأساس فالتأويل هو الخروج بحرفية اللفظ إلى دلالات أخرى تفسّر الكلام المقروء أو المسموع ،ويستفاد من هذا أنّ ما يراه الإنسان في منامه يحتاج إلى تأويل فما يُرى هو نصٌّ مشفَّرْ أو رمزي يحتاج إلى تحليل وتفسير وبيان عملية التفسير هذه تسمىَّ بالتأويل .

وهو مشروط بوجود الرموز في النّص المنامي حتى يؤَوّل ظاهرة الحرفي إلى دلالة تخيليّة كتأويل البيض بالمرأة والغراب بالرجل الفاسق ...الخ .

---

[1] -سورة الصافات .الآية 102.

[2] رواه مسلم عن جابر

[3] - لسان العرب ، ص 172.

[4] - محمد علي التهانوي ،كشاف اصطلحات الفنون والعلوم ,تر علي دروج ,ج1 , مكتبة لبنان ناشرون ,بيروت لبنان , ط1 , 997,ص376.

[5] - لسان العرب , ص172.

[6] - المرجع نفسه ، ص 3412.

وهناك رؤى تخلو من الرموز وبخلوّها ينتفي عنها التأويل وهنا إمّا أن تكون تلك الرّؤى وذات دلالات مباشرة تدرج تحت الصنف الأول من الأحلام والرؤى (المطابقة للواقع) وإمّا أن تكون أضغاث أحلام من تلاعبات الشيطان وتداعيات النفس .

ولابدّ حتى تكتمل عملية التأويل عمومًا من توفّر ثلاثة عناصر هي (المؤوَّل والمؤوّل له والنص المؤوَّل)[1]،ولو حاولنا إسقاط هذه العناصر على التأويل المنامي سنجد أن المؤوّل هو الذي يفسّر لنا النصّ المنامي (المفسّر أو المعبّر) والمؤول له هو صاحب الحلم أو الرؤيا والنص المؤوّلُ هو المنام نفسه أي ما رآه الحالم أو الرّائي .

ويمكننا هنا أن نجد علاقة وطيدة بين التأويل و المنامات الرمزية لأنّها الحقل الذي يمكن أن يتفاعل مع نصوصها المؤوَّل وبهذا الاعتبار" يكون التأويل "يكون التأويل تجاوزا للمعنى الحرفي وبحثا عن الدلالة التخيلية التي يفتحها التركيب البلاغي أمام المؤوَّل ولا يمكن تأويل نص لا يقوم على هذّا التركيب"[2] واللفظ المجمل إذا لحقه البيان بدليل ظني كخبر الواحد يسمّى مؤوَّلا"[3].

5– مصطلح التفسير :

أ)– لغة :التفسير مشتق من الفَسْرُ وهو" البيان ،فسر الشيء يفسره بالكسر ويفسُرهُ بالضم فسْرًا وفسَّره : أبانه والتفسير مثله "[4]. ويؤكد هذا المعنى الفيروز آبادي بأن الفسْر هو : "الإبانة وكشف المغطّى "[5] ، وقد وردّت لفظة التفسير بهذا المدلول في قوله تعالى :﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا

[1] - ينظر: رضوان الصادق الوهابي , الخطاب الشعري الصوفي والتأويل , منشورات زاوية الرباط , ط1 , 2007 , ص24-26.
[2] – المرجع نفسه , ص 23 .
[3] – التهانوي ،كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم , ص 376.
[4] – لسان العرب , ص 3412.
[5] – القاموس المحيط , ص 481 .

جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾[1] والإبانة والكشف مدلول واحد إذْ كل منهما يحمل في سياقه تجليّه المعنى المخفي المراد من ذلك اللفظ .

ب)– اصطلاحا : التفسير مصطلح كثير التداول في حقول العلوم الدينية وبخاصة القرآن منها فهناك علم مخصص يسمى بعلم التفسير وله آلياته وضوابطه بحسب سياقه المعرفي وحقله الفاعل فيه ولذا تباينت آلياته عند المفسّر القرآني والأصولي والفقيه والصّوفي ومعّبر الرؤى والأحلام .

ومجملا فالتفسير اصطلاحا يعني : "كشف المراد عن اللفظ المشَكل " [2] واللفظ المشكَل إشارة إلى الغموض ، إذا فغاية التفسير إبانة ما غمُضَ من اللفظ وبالتالي فمدلوله نفس مدلول معناه اللّغوي

وقد وظف معبرو الأحلام والرؤى هذا المصطلح بكثرة كمرادف لمصطلح التأويل فيقال : " فسّر الرؤيا أو أوّلها " بمعنى واحد وأكدّ ذلك ابن الإعرابي قائلا : " التفسير والتأويل والمعنى واحد " [3] ، وحققّ ذلك ثعلب فيما نقله عنه ابن منظور [4] وقد سئل أبو العباس أحمد بن يحي عن التأويل فقال : " التأويل والمعنى والتفسير واحد " [5]

6– مصطلح التعبير :

أ– لغة : الأصل اللغوي للفظة (التعبير) مشتق من الجذر (عَ.بَ.رَ) قال ابن منظور :" عَبَرَ الرؤيا يعبُرُها عبْرًا وعبارة وعبَّرَها : فسّرها وأخبر بما يؤول إليه أمرها... وقيل: " أَخذ هذا كله من العبْر وهو جانب النهر فقيل لعابر الرؤيا : عابر لأنه يتأمّل ناحيتي الرؤيا فيتفكر في أطرافها ويتدبر كل شيء منها ويمضي بفكره فيها من أوّل ما رأى النائم إلى آخر ما رأى ... والعّابر : الناظر في الشيء "[6] .

---

[1] – سورة الفرقان , الآية 33 .

[2] – لسان العرب , ص 3412.

[3] – المصدر نفسه ,والصفحة نفسها .

[4] – القاموس المحيط , ص 481 .

[5] – لسان العرب ,ص 172 .

[6] - المصدر السابق , ص 2782 .

وتقريبا نفس التأصيل اللغوي يمضي فيه الفيروز آبادي في مادة (عبر)[1] وقد وردت لفظة العابر في حديث شريف يخص الرؤيا قوله صلى الله عليه وسلم : "**.... والرّؤيا لأوّل عابرٍ**"[2] .

وعليه فلفظة (التعبير) في سياق الأحلام والرّؤى مصدر للفعل (عَبَّرَ) بالتشديد أما (عَبَرَ) فمصدرها (عَبْرٌ) واسم فاعلها (عَابرٌ) والفعلان (عَبَرَ وعبَّر) بمعنى واحد أي (فسَّرَ) كما يعني (عبَرَ) النظر في الشيء ومفسّر الرؤى يلزمه النظر بعمق فيما رآه الحالم أو الرائي .

ب– اصطلاحا : يمكننا أن نسقط التأصيل اللغوي على المفهوم الاصطلاحي للفظة (التعبير) لما للمدلولين من تداخل وتشابه في المفهوم ،

واستنادًا لتخريجات ابن منظور اللغوية يمكننا أن نستخلص مما أورده المفهوم الاصطلاحي للفظة (التعبير) علاوة على أنه (علم) فهو ذلك العلم الذي يتأمّل فيه المعبّر نواحي الرؤيا متفكرا في أطرافها متدبرا كل شيء منها موظفا فكره وعقله من أول ما يرى النّائم إلى آخر ما يرى .

واعتبره القدامى (علمًا) فقالوا (علم التعبير) وخصصوه بتفسير ما يراه الإنسان في منامه وله ضوابطه المذكورة في كتب تفسير الأحلام .

وقد ذكر الفعل الاشتقاقي لمصطلح (التعبير) في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[3] ، قال الإمام الخازن مفسّرا (تعبرون) أي : إن كنتم تحسنون علم العبارة وتفسيرها "[4] فـ (تعبُرون) هنا بمعنى (تفسّرون) .

[1] – انظر : القاموس المحيط , ص 459 .

[2] – ابن حجر العسقلاني , فتح البارئ , ص 451 .

[3] - سورة يوسف , الآية 43 .

[4] – علاء الدين علي بن محمد (الخازن) , تفسير الخازن , ج 2, دار الكتب العلمية , ط 1 , بيروت . لبنان , 2004 , ص 286 .

واعتبر الإمام علمية (التعبير) فقال: " علم التعبير مختص بتفسير الرّؤى وسمّي هذا العلم تعبيرًا لأن المفسّر للرؤيا عابرٌ من ظاهرها إلى باطنها ليستخرج معناها وهذا أخصّ من التأويل لأن التأويل يقال فيه وفي غيره " [1]

وقد عمد الإمام البخاري إلى مصطلح (التعبير) حينما سمّى (كتاب التعبير) في أحد أبواب جامعه الصّحيح ولم يسمّه (التأويل) أو (التفسير) والملفت في القرآن الكريم وبالضبط في سورة يوسف أنه يوظف (التأويل) ضاربا عن (التفسير) صفحًا ولم يوظف المصدر (التعبير) في سياق السورة المذكورة إلا في صيغة الفعل الجمعي (يعبُرون) المذكور سالفًا وسياق هذا الفعل واردٌ على لسان الملك وفاعله (واو الجماعة) وهم الكهنة والسحرة ، لكن المصدر (التأويل) اختص به سيدنا يوسف عليه السلام فقط في ستّة مواضع من السورة في الآيات (6-21-36-37-100-101) كعلم علمّه الله إيّاه ، إلاّ في موضعين آخرين من السورة فقد ذكر (التأويل) في الآية (44)قال تعالى ﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[2] وهنا تبرّؤوا من تأويل الأحلام لعجزهم عن ذلك ، وذلك سيثبت ليوسف معجزته في قدرته على التأويل لاحقا لرؤيا الملك ، والآية الثانية تصريح الذي نجا من السجن لما سمع رؤيا الملك قال تعالى :﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾[3]

قال أبو السّعود في تفسيره " أي أخبركم به بالتلقي عمّن عنده علمه لا من تلقاء نفسي ولذلك لم يقلْ أنا أفتيكم فيها " [4] ومع أن الناجي أسند التأويل إلى نفسه ولكن . استنادا للتفسير. مردّ التأويل إلى سيدنا يوسف عليه السلام وذلك لعلم هذا الشخص أن سيدنا يوسف له قدرة على التأويل بحقٍّ

[1] – المرجع نفسه , ص 286 .

[2] – سورة يوسف , الآية 44 .

[3] - سورة يوسف45

[4] – أبو السعود , إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم , ج3 , دار الفكر , بيروت لبنان , ص 112.

ولم يوظف القرآن الكريم مطلقا مصطلح (التفسير) في سياق حقل المنام ولكن وظف التأويل باستثناء الآية (43) من يوسف والتي ورد فيها التعبير بالصّيغة الفعلية .

أمّا رأي علم النفس في عصرنا الحديث فقد نزع علماؤُها إلى مصطلح (التفسير) عن مصطلح (التأويل والتعبير) ولعلنا نلتمس ذلك بجلاء عن فرويد حينما ضبط كتابه ب(تفسير الأحلام) والرأي نفسه فيما فصّله علي زيعور حيث قال : " لكننا نفضّل وجريا على ما صار شائعا استعمال كلمة تفسير الأحلام بدلا من القول : تأويل الحلم " [1] .

وقد خالف هذه الآراء الباحث إيريك فروم حينما فضّل مصطلح (الفهم).

ويطالعنا الباحث علي زيعور برأي يحاول أن يميّز بين مصطلحيْ (التفسير والتأويل) وإن كان مدلولهما واحدًا فقد أشار إلى أن " التفسير يكون غالبا في مجال الألفاظ والمفردات وأمّا التأويل فأكثر استعمالاً في المعنى والجمل " [2] .

7- مفهوم الكهَانة :

أ) . لغة : يذكر الفيروس آبادي أن الكهانة من الفعل (كَهَنَ) فقال :" كَهَنَ له كَمَنَع وبَصَرَ وكَرَمَ ,كَهانة بالفتح وتكهّن تكهّنا :قضى له بالغيب ,فهو كاهن ج كهنة وكُهّان وحرفة الكهانة بالكسر والكاهن من يقوم بأمر الرجل ويسعى في حاجته "[3].

ب)- اصطلاحا : اعتبر ابن خلدون أن الكهانة "من خواص النفس الإنسانية "[4] ويتميز صاحبها حسب رأيه . بقوة مخيلته مستعينا بأمور محسوسة أو متخيلة غايتها إدراك الغيب بوحي شيطاني ويكون حديث الكاهن مسجوعا مختلطا بالصدق والكذب [1].

[1] - علي زيعور , تفسيرات الحلم , ص 39 .

[2] - المرجع السابق ، ص 39 .

[3] - القاموس المحيط ,ص 1237

[4] - عبد الرحمن بن خلدون , المقدمة , دار الفكر للطباعة والنشر , ط1 , بيروت . لبنان ، 2004 , ص115.

وعليه فمهمة الكاهن استكشاف الغيب .كما يزعم . واستشفاف المستقبل لسائله معتمدا على قوة مخيلته ولعلّ هذا الرأي يتقارب مع ما ذهب إليه المسعودي على أن الكهانة " أصلها نفسي ...لأنها شأن يتولدّ عن صفاء المزاج الطبيعي ...وذلك أن النفس إذا هي تفردت فكّرت فإذا هي فكرت تعدّت وإذا تعدّت هطل عليها سحب العلم النفسّي ...فأخبرت عن الأشياء على ما هي به وعقله وربّما قويت النفس في الإنسان فأشرفت به على دراية الغائبات قبل ورودها "[2].

واستمْداد الكاهن من الشيطان يجرنا إلى تعريف آخر يرى أنّ " الكّهانة اتصال الأرواح الإنسانية بالأرواح المجردة (الجن والشياطين) ومعرفة الأحداث الجزئية التي تحدث في الكون بواسطة تلك الأرواح " [3] ، ومن هذه الحيثية صنّف حاجي خليفة الكهانة من أنواع السّحر [4] .

وبعد مناقشتنا لمفهوم الكهانة وتصوّرها العام : هل يمكن أن نجد علاقة وتداخلا بين الكهانة والأحلام والرؤى ؟ .

3. علاقة الكهانة بالأحلام والرؤى :

إنّ محاولة إيجاد العلاقة بين الكهانة والأحلام والرؤى يبدو للوهلة الأولى أمرا مستبعدا ولكن بعد إدراكنا للتصور العام لفكرة الكهانة والأحلام يتجلّى لنا التداخل الحاصل بينهما وقد عرفنا سلفا أسس كلّ من الكهانة والأحلام والرؤى وبخاصّة فيما يخصّ تفعيل قوة المتخيّلة للكاهن أو الحالم وكذا الاطلاع على بعض المغيبات أو أحداث المستقبل مما سيكون والمدّقق في شأنهما يجد أنّ الكهانة أصلٌ نفسي من خواص النفس البشرية على رأي المسعودي وابن خلدون وهو الأصل الذّي ترتكز عليه الأحلام فقط دون الرّؤى , فقد عرفنا أن الأحلام مردّها نفسي إذْ هي فضاء لتحقيق تلك الرغبات

---

[1] – المصدر نفسه , ص115-117.

[2] – توفيق فهد, الكهانة العربية قبل الإسلام, تر: حسن عودة ورندة بعث, تقديم رضوان السيد, مطبعة سندباد , د .ط , فاتريار ,باريس , د .ت,ص57. انظر الموقعين : www.alfurat.com/www.cadmus.nesasy.org

[3] – المرجع السابق , ص55.

[4] – المرجع نفسه , ص 56.

النفسيّة التي لم تتحقق في الواقع أو لم يتمكن الإنسان من تحقيقها لسلطة الجماعة أو العادات والتقاليد ...وهذا ما ذهب إليه فرويد في نظريته عن الرغبة والمراقب , وللمخيلة الدور المفعّل لإحداث تلك الصّور المتخيّلة للكاهن أثناء قيامه بعملية التّكهن ومن ثمّة إدراكه لبعض المعارف والدّور نفسه حاصل لمخيّلة الحالم إذْ هي المحرك لأحداث تلكّ الصّور الرّمزية العاكسة لرغبات الحالم فيما يرغب فيه ولم يتمكن منه وكما أن مخيّلة الكاهن تستعين بأمور محسوسة . بطابع عجزها . لتقوية إدراكها نجد الإنسان يستعين بالنوم كفضاء تحدث فيها الأحلام فلولا النّوم لما تمت عملية الأحلام مطلقا .

واستغراق الكاهن في التخيل لتقوية إدراكه هو ف أصله نزوع منه إلى محاولة الانسلاخ من بشريته ولا يتأتىّ له ذلك ويدّعى أنّه يرى بوجدانه وبمداركه الروحانية مطلّعا على بعض المغيبات ممّا تسترقه الجن من أخبار السّماء "ولا يقوى .كما يذكر ابن خلدون . الكاهن على الكمال في إدراك المعقولات لأنّ وحيه من وحي الشيطان "[1] وعليه فهو يفعّل قوة مخيلته مستندا إلى وحي الشيطان .

ولو قاربنا بين هذا الحال وحال الحالم نلتمس تداخلا جليّا بينهما لأن الإنسان في حالة النوم يتحرر من سلطة العقل والحواس كما ذهب إليه فرويد في نظريته عن الأحلام حينما كان يحلل فكرة الكبت الجنسي وإذْ تحرر سرحت الروح وانسلخ الحالم من بشريته لتعكس المخيلة مكبوتات اللاشعور ورغباته فتظهر في صور رمزية مختفية عن الوعي فتتجاذبها رغبات الحالم أو إيحاءات الشيطان ويظهر في الحلم ما يسمى بـ (أضغاث الأحلام) ويخرج عن هذا المقام الرؤى لأنها من قبل الله .ويرى ابن خلدون "أن الأضغاث تُؤخذ صورها مما في الحافظة التي كان الخيال أودعها إيّاها منذ اليقظة "[2] .

[1] – ابن خلدون , المقدمة , ص 116.

[2] – المصدر نفسه , ص 116.

المبحث الثاني : الأحلام و الرؤى :الأنواع والوظائف وعلاقتها بالتحليل النفسي

1)- أنواع الأحلام :

أ- المطابقة للأصل : يعكس هذا النوع كل مكونات المحيط الذي نعيشه ونشاهده ويكون خاليا من الرموز ومُفعمًا بالإشارات المباشرة ,

وقد تظهر لنا فيما نراه في منامنا أحداثٌ من الماضي مرحلة الطفولة نراها لنتحرّر من تلك الأحداث المؤلمة ، وتسمى هذه الأحلام أو الرؤى (بالواقعية) وتوفّر لنا فرصة إعادة النظر في الكثير من القضايا والأمور الحياتية ومراجعة الحسابات [1].

وعموما نعتبر الأحلام الواقعية بمثابة المنجم الذهبي للكثير من المعلومات والأفكار الأصيلة لأنها تتصل بصميم حياتنا اليومية , ويشير الكثير من الأدباء والكتّاب بأن الأحلام كانت بالنسبة لهم من أهم مصادر الخلق والإبداع [2] .

ب- **التنبؤية** : يقصد بالتنبؤيّة توقّع ما سيحدث في المستقبل سواء القريب أم البعيد وذلك من خلال ما نرى في المنام ، ويذكر الدكتور سليمان الدليمي إنّه : ليس غريبًا على الإنسان أن يبحث عن الجوانب التنبؤية في الأحلام ولكن ليس جميع الأحلام تنطوي على بعد مستقبلي أو أنها تحمل تكهّنات لما يمكن أن يحدث في المستقبل [3] ، ولعلّ فكرة التوقع في الأحلام والرؤى فكرة راسخة عند كثير من النّاس ويعتقدونها ويؤمنون بها , بل كادوا يُسلّمون لما تحمله من تنبؤات مستقبلة, وهناك العديد من الأحلام التنبؤية تعتبر من أهم الأدوات الخاصة للنظر إلى المستقبل ومن أبرز المهتمين بدراسة هذا النوع من الأحلام فرويد ويونغ .

---

[1] - ينظر : سليمان الدليمي , عالم الأحلام ,تفسير الرموز والإشارات , دار الكتب العلمية , ط1,لبنان ,2006,ص ص 45-48.
كذلك نيريس دي .الأحلام :تفسيرها ودلالاتها ،ص ص 95-104.

[2] - المرجع السابق ,ص 44.

[3] - المرجع السابق ,ص 45.

ج– الأحلام الرمزية : إن الأحلام الرمزية تنبع من العقل الباطن وهي تعكس عالمنا الداخلي الحدسي والإلهامي , هذا العالم معمور بالمشاعر التي لا يمكن لمعظمها أن يعبّر عنها بالألفاظ[1].

والعقل الباطن أو ما يسمّى بالعقل اللاّواعي أو اللاّشعور هو خزان العواطف والمشاعر والذكريات القديمة وأعماقنا الدفينة وانطباعاتها الداخلية والأحلام والرّؤى تعكس تلك المشاعر الكامنة في العقل الباطن ويؤكد علماء النفس أن الشعّور بالإحباط لدى الأطفال على سبيل المثال يظهر لدى الأطفال أثناء النوم على شكل أحلام رعب وقد يُسهم الأبوان في حدوث مثل هذه المشاعر لدى الأطفال لأنهم لا يدركون أن حالات الغضب وكذلك الأحلام هي تغيرات رمزية للمشاعر الداخلية[2]

ولعلّ الكثير من الناس يعتقد أن ما يراه الإنسان يحمل في طيّاتّه رموزًا والأشياء لها علاقة بواقعه الخارجي ويبدو هذا الاعتقاد مجانبا للصواب لأنه ليس كل ما يرى في المنام بالضرورة يرمز إلى أشياء تُلتمس في الواقع ويمكننا هنا أن نربط حضور الرمز بقوة في الرؤى من المنظور الإسلامي وتختفي في الأحلام .

د – الأحلام المتكررة الحدوث : تدور هذه الأحلام حول بعض القضايا التي لا تحظى بالإهتمام الذّي تستحقه ولهذا فإن تكررها يعني التأكيد على أهميتها وضرورة التعامل معها[3] , فالإنسان في مجريات حياته قد يعقل بعض المحطات الهامة في مساره وهي في الأصل ذات أهمية بالغة وبدافع هذه الأهمية تنبّه عقله بشأنها مما يجبر هذه الأخيرة قوة متخيلته بإحداث الحلم أو الرؤيا ويكرر الحال مراراً كإشارة واضحة إلى ضرورة التنبه إلى تلك المحطة الهامة التي أهملها صاحبها " وإذا لم يتم التعامل مع القضايا التي يدور حولها الحلم فهذا يعيني استمرار حدوث مثل هذه الأحلام "[4] .

ويرجع الدكتور سليمان الدليمي تكرار الأحلام إلى سببين هما :

[1] – نيريس دي , الأحلام:تفسيرها ودلالاتها , ص 98.
[2] – سليمان الدليمي , عالم الأحلام , ص 46.
[3] – المرجع السابق , والصفحة نفسها .
[4] – المرجع السابق , ص 47.

1- التذكير بالمشكلات أو الأزمات التي حدثت في الماضي وما ترتب عليها من تأثيرات وانعكاسات على شخصية الإنسان ولم يتم التّعامل معها بالشكل المضبوط .

2- الحاجة الملّحة لتفسير بعض الأنماط السّلوكية والتصرفات التّي نمارسها في حياتنا اليوميّة لما لها من تأثيرات سلبية "[1].

هـ – المشتركة :يعني هذا النوع أن يشترك شخصان أو أكثر في نفس الحلم وتظهر لهما نفس المشاهد والأحداث والصور ومع أن هذا النوع يحدث بشكل عفوي ولا دخل للإنسان فيه ..."[2] .

وفي واقعنا أمثلة كثيرة تثبت هذا الاشتراك العفوي فكم من شخص يرى حلمًا أو رؤيا فيسردها فيجد أن شخصًا آخر رأى ما رآه من أحداث وصور ومشاهد , والاشتراك في الرؤى والأحلام قد تكون مشاهده تحذيرية مرعبة أو تبشيرية مفرحة .

2 – وظائف الأحلام والرؤى :

إن الحلم ظاهرة نفسية تتطور حسب ظروف الشخص الحالم أو الرائي من جانبها الحياتي البيولوجي أو النفسي أو العقلي أو الاجتماعي ومن هذا الاعتبار فهو " ظاهرة تقوم بوظائف تتعدد لكنها تتكامل وتظهر مختلفة متطورة تبعا لظروف الشخصيّة " [3] .

وهذا الاختلاف والتطور في الوظائف يرتبط بماضي الشخص أو حاضره أو مستقبله ولذا يمكن رصد وظائف ثلاث للأحلام والرؤى :

أ– وظيفة تظهير للماضي : تتمثل هذه الوظيفة في كون الحلم أو الرؤيا استعادة للماضي سواء أكان صادمًا أو سارًا ولذكريات الطفولة تأثير على ما نرى في المنام الأول فهي تخدم الحاضر والمستقبل

[1] – المرجع السابق الصفحة نفسها.

[2] – المرجع السابق , ص ص 47، 48.

[3] – علي زيعور , الأحلام والرموز : أداة كشف وعلاج نفسي في مجالات الشخصية والاضطرابات النفسية والفكر , دار المناهل ,لبنان ,ط1, 2002,ص 55.

للرائي وغاية استعادة الماضي هنا في أحلامنا للتأسف عليه أو للتحرر منه كأن لم يتمكن شخص من تحقيق رغبة ما في ماضيه فيراها في نومه ويحققها أو يتخلص منها وبذلك تخف وطأة التوتر ويتعذر الاستقرار النفسي في الذات فالحلم " في كلمات قليلة يستعيد بقايا ذاكريه , هنا تحركه هموم الذاكرة وتغذيه وتلك الاستعادة مليئة بالدلالات وكثيرة الوظائف " [1] .

واستحضار الماضي فكرة أكّد عليها فرويد في تحليلاته للأحلام " ويعتقد أن هناك على الأقل حقيقة لا نزاع فيها هي أن المادة التي تكوّن محتوى الحلم إنما تستمد جميعها من الخبرة على نحو أو آخر أي أنّ الحلم حسب رأيه إنما يستحضرها أو يتذكرها " [2] والنفس راغبة عن إطالة ما تتضمنه الحياة المستيقظة من التوترات فتعالج الحزن بالفرح ..وتعالج الكراهية بالحب.. وكثيرا من جراح القلب التي لا تلتئم أبدا في النهار يداويها النوم الذي يسترها ويصونها من كل هائج جديد " [3] .

ب– وظيفة تكييف الواقع وتغطية النّقائص : ترتبط هذه الوظيفة بواقع الإنسان الحالم ومن هذه الحيثية فالأحلام والرّؤى تعكس آمال الشخصية وتحقق أمنياته وأفكاره وطموحاته وبذلك يعوّض النقائص المبتورة من واقعه ،وبأحلامه ورؤاه يغطي جراحاته ويحقق التوازن والاستقرار النفسي , فالرائي يحاول أن يكّيف واقعه نحو واقع يتوازن ويتلاءم مع رغباته , ولكن هذا التكييف الحُلمي ظرفي لا يستقر على حال أو يتلاشى بعد الحلم ." فالحلم شاشة أو صورة يظهر عليها مسْعى الحالم كي يحلّ مشكلاته ويقلص تَوَتراته...وقد يكشف الحلم هربنا من الواقع ورغبتنا في تغييره ذلك الواقع أو التكيف معه "[4] .

ج– وظيفة تكييف المستقبل والتوقع والتنبؤ: وتبنى هذه الوظيفة على فكرة التوقع المستقبلي أو التنبؤ إذ يطلق على هذا الجنس ما يراه الإنسان ب(الأحلام أو الرؤى المتنبئة) وهي وظيفة

[1] – المرجع السابق , ص 55 .

[2] – سيقمونت فرويد , الأحلام , عرض وتقديم مصطفى غالب ,دار الهلال ,بيروت – لبنان ,1985,ص21-22.

[3] – المرجع السابق , ص 62 ثم ص ص :127-131.

[4] – علي زيعور , الأحلام والرموز , ص57 .

تكشف فيها الأحلام عن آفاق المستقبل وتستكشف عيوبه وتتضمن هذه الوظيفة التنبؤية بشارة أو إنذارًا .

ويرجع الدكتور علي زيعور التوقع الذي يتنبّؤُ به الحالم ليدرك المستقبل ويتطلع على مجاهله في أصله هو صوت الضمير الأخلاقي أو ما سمّاه ب(القطاع الأخلاقي) أو(المقام النبيل الفاضل) فنجده يؤكد " أن الأحلام المتنبئة لا تعني أن صاحبها هو كما يدعّي ذو حدس قوي أو أن أحلامه تَصْدُق بكل ما تتنبؤ به ..إن صوت الضمير الأخلاقي (الأنا العالية المحضورات والممنوعات) هو هنا المخاطب لنا من الداخل ,فحال الحالم تفسّر الحلم والمعلومات التي تردنا في الحلم عن قضية أو حادثة ستحصل لنا تكون أصلا محتمله وقد تتوقع حدوثها مستندين في ذلك إلى أسباب ومجريات التحذير أو نقيضه ..إنه صوت منا , من القطاع الأخلاقي من المقام النبيل الفاضل ولكنْ المغطّى والقابع داخل شخصيتنا" [1] .

3- التحليل النفسي وعلاقته بالأحلام والرؤى :

يرى علماء النفس أن هناك علاقة وطيدة بين ما يراه النّائم ونفسيته وهم بذلك ,وفقا لأبحاثهم وتجاربهم . يؤكدون أنّهم بإمكانهم تحليل نفسية الإنسان من خلال أحلامه .إذْ" أصبحت الأحلام بمثابة المواد الخام الأولية في مجال التحليل النفسي الذي يكشف الكثير عن خفايا النفس البشرية ,وهذه النظرية الجدية لعالم الأحلام تعتبر نتاجًا لأعمال اثنين من علماء النفس المهتمين في هذا المجال وهما العالم سيقمونت فرويد المؤسس الحقيقي لمدرسة التحليل النفسي وزميله كارل غوستاف يونغ "[2].

يقول فرويد :" إننا نحلم لأن اللاّشعور يريد أن يخبرنا بشيء ما " [3] وهنا يمكننا التساؤل : ما علاقة اللاشعور بالأحلام , وكيف يمكن للاّشعور أن يخبرنا بشيء عن نفسيّة صاحب الحلم ؟ .

[1] – المرجع السابق, والصفحة نفسها .

[2]– سليمان الدليمي , عالم الأحلام , ص 37.

[3]– المرجع نفسه , ص 38 .

يجيبنا إيريك فروم ملخصا لنا هذه العلاقة حسب نظرية فرويد في التحليل النفسي وعلاقته بالأحلام فيشير إلى أن فرويد يرى أن الحلم ينبع عن فهمه للنفسيات ويعتقد أنّ دواخلنا تنطوي على مشاعر ورغبات لها قوى داخلية تملي علينا أفعالنا وهذه المشاعر والرغبات تشكل (اللاّوعي) أو(اللاّشعور) .

ثم يؤكد أن هناك رقابة الوعي (الشعور) والتي تجعلنا نكبت تلك المشاعر والرغبات , والكبت هنا يعني إخفاءها عن الوعي وهذا لا يثبت أنها انمحت من اللاّوعي فهي مغمورة فيه , وبإمكان أن تظهر تلك الحالات النفسية العميقة والرغبات في وعينا وتظهر بقوة في الأحلام [1].

وعلى هذا الأساس ـ كما يرى فرويد – أن اللاشعور مشكّلٌ من مشاعرنا ورغباتنا ولكن تلك الرغبات مكبوتة خوفا من سلطة الشعور (الوعي) فلا تظهر إلا في الأحلام .

وعليه ((نخرج من هذا بأن الحلم قطبين : أولهما الرغبة التي يريد النائم أن يحققها ,والقطب الثاني هو الرقابة والتي تحول دون تحقيق الرغبة إذا لم تحرز رضاها ... فالرغبة تتبع من اللاشعور فهي (أي الرقابة) مثل حرس الحدود الذي يمنع غير المرغوب فيهم من الدخول وعلى غير المرغوب فيهم في هذه الحالة أن يتنكروا في أشكال وأزياء غريبة كي يفلتوا من الرقابة ..))[2].

" فالأحلام تشكل بدورها مجالا آخر للسلوك الذي يعتبره فرويد تعبيرا عن قوى اللاّوعي .. فالقوى التي تحرك حياتنا الحلمية هي رغباتنا اللاعقلانية .. فعندما تخفّ رقابة الوعي خلال النوم تدبّ الحياة في تلك الرغبات وتأخذ بالإفصاح عن نفسها في أحلامنا "[3].

ونستنتج من هذه الرؤية أن الوعي يخمل في حالة النوم حينها ينشط اللاّوعي فيعرب عن رغباته المكبوته .

[1]- ينظر : إريك فروم , اللغة المنسية , مدخل إلى فهم الأحلام والحكايات والأساطير , تر حسين قبيسي , المركز الثقافي العربي ، ط1 , بيروت ، لبنان ، د ت .ص53

[2]- فرويد , تفسير الأحلام ,ص 45.

[3]- إيريك فروم ,اللغة المنسية ,ص 53-55.

"وقد كان فرويد يشجع مرضاه في التعبير عن أحلامهم وتناول كافة الموضوعات والأفكار , وقد لاحظ فرويد من خلال العمل مع مرضاه أن الحقائق التي كان يبحث عنها عند تفسير الأحلام هي دائما غائبة ولا يريد المرضى أن يصرحوا بها ومن هنا جاءت نظريته المعروفة عن الكبت الجنسي وتحقيق الرغبة " [1].

وبطريقة التداعي الحر للأفكار يجتهد فرويد في الاهتمام بالتفاصيل الدقيقة مهما كانت نوعها وشكلها للحلم مشجعًا على تذكرها .

ومن خلال نظرية فرويد للأحلام يؤكد أنّ الكبت الجنسي هو المثير لتلك الأحلام, وقد خالف هذه الرؤية تلميذه يونغ معارضًا فكرة الكبت الجنسي على أنه هو السبب الرئيسي المثير للأحلام [2].

ويبدو أن يونغ لم ينتهج طريقة التداعي الحر للأفكار أثناء سرد الحالم لحلمه فهذه الطريقة الفرويدية ترتكز على تفاصيل الحلم ,بينما يونغ يعتمد على الإجمال " فهو يوجه الحالم للحلم نفسه والنظر إليه من عدّة جوانب آخذا بالإطار العام للحلم"[3] وعموما ومن خلال عرض هذا المبحث يتبيّن لنا أهمية الأحلام ودورها في مجال التحليل النفسي .

[1]- سليمان الدليمي , عالم الأحلام ,ص39.

[2]- نيريس دي ,الأحلام ,ص81 .

[3]- سليمان الدليمي ,عالم الأحلام ,ص40.

المبحث الثالث : الرؤيا عند ابن سيرين : أصول التعبير وآليات التأويل :

1– تمهيد : ترجمة الإمام محمد بن سيرين واهتمامه بعلم الرُّؤيا :

أ– مولده : وهو " محمد بن سيرين البصري ... أبو بكر إمام وقته في علوم الدين بالبصرة تابعي من أشراف الكتاب مولده ووفاته في البصرة نشأ بزّازًا في أذنه صمم وتفقه وروى الحديث ...استكتبه أنس بن مالك بفارس وكان أبوه مولى لأنس ".

ولد عام 33هـ (653م) وتوفّي سنة 110هـ (729م) "[1] وعلى هذا الأساس فقد ولد في آخر خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه قال عنه محمد بن سعد : ((كان ثقة مومونًا عالمِا و فقيها إمامًا كثير العلم ورعًا ..))[2] وإلى جانب تفقهه و ورعه فقد كان قاضيا بارعًا , قال عثمان البَتّي :(لم يكن بالبصرة أعلم بالقضاء منه ...)[3].

ب – عصره : عاصر التابعين من الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فروى عن بعضهم الحديث فقد سمع من : أبي هريرة وعمران بن حصين وابن عباس وعدّي بن حاتم وابن عمر ... وأنس بن مالك " [4] , وعاصر الخليفة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه فحاز ابن سيرين فضل الخيرية الحاصل لقرن التابعين باعتبار بقاء جيل من الصحابة فيه فنهل منهم العلم والرواية عنهم ويذكر المؤرخون المحققون أمثال ابن النديم والذهبي و الزركلي و بروكلمان وابن كثير أنّه كان مصاحبا للحسن البصري ثم تهاجرا في آخر الأمر[5].

[1] – خير الدين الزركلي , الأعلام قاموس تراجم , ج4 , دار العلم للملاين , د.ط ، بيروت ، لبنان 2002. ص 154.

[2] – عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير , البداية والنهاية , ج9 , مكتبة المعارف , ط6 الرياض السعودية , 1996 , ص 267.

[3] – المصدر نفسه , ص267.

[4] – شمس الدين محمد الذهبي , سير الأعلام النبلاء ,ج4, مؤسسة الرسالة , ط 11 , الرياض ، السعودية , 1996 ، ص 606 .

[5] – ينظر : بروكلمان , تاريخ الأدب العربي , ج1 , دار المعارف , د ط , لبنان . بيروت , د ت ,ص 285 .

ج – خبرته في علم الرؤيا والتأويل : لقد كان علم الرّؤى من العلوم الثابتة في تراثنا العربي والإسلامي وله علاقة وطيدة بالوحي والنبوة وقد صّرح القرآن الكريم بتخصص بعض الأنبياء بالرؤى كسيدنا يعقوب ويوسف عليهما السلام .

ومن المشهور عند الباحثين والدارسين خبرة محمد بن سيرين في تأويل الرّؤى وتنسب له الأعاجيب في ذلك ويذكر ابن خلدون إنه " لم يزلْ هذا العلم متناقلا بين السلف وكان محمد ابن سيرين من أشهر العلماء وكتبت عنه في ذلك قوانين وتناقلها الناس لهذا العهد " [1] .

ويؤكد بروكلمان هذه المعرفة السّيرينية في مجال التعبير مثبتا له اليد الطولى في تعبير الرؤيا[2] ,والحقيقة نفسها يحققها خير الدين الزركلي[3] , حتى أن الذهبي قال عنه : " جاء عن ابن سيرين في التعبير عجائب يطول الكتاب بذكرها وكان له في ذلك تأييد إلهي "[4].

ولعل الإمام الذهبي من خلال تأييده هذا لا ينسب له علم العبارة أو التأويل بل يبدو أنه متأثر به ويثبت هذا تحقيق أن ابن سيرين مؤيَّدٌ من قبل الله في التأويل وربما يقصد أنه خبرته في التعبير هي بتوفيق خاص من الله , ويمكن من خلال هذا التصور نال ابن سيرين هذه الشهرة من بين عدد معتبر من المعبّرين في تراثنا .

وإن كان ابن خلدون يثبت للكرماني تأليفه في علم الرؤى والأحلام بعد ابن سيرين [5] .

- **فهل سبق ابن سيرين معبرون للرؤى أم لا ؟.**

يجيبنا عن هذا السؤال الدكتور علي زيعور مثبتا أنّ هناك أسبقية للإمام سعيد بن المسّيب في ميدان التعبير حيث يقول : " لعلّ سعيد بن المسّيب الذي أخذ عن أسماء بنت بكر الخبرة في التعبير

[1] – ابن خلدون , المقدمة , ص 519.
[2] – بروكلمان , تاريخ الأدب العربي , ج 1,ص 255.
[3] – ينظر : الزركلي الأعلام , ج 1 , ص 154 .
[4] – الذهبي , سير أعلام النبلاء , ص 618.
[5] – ابن خلدون , المقدمة , ص 519.

كان من أشهر الشخصيات التي سبقت زمنيا ابن سيرين (100هـ \ 728 م) الذي لم يعرف كمعبّر شهير في الكتب التاريخية الأولى[1] .

وإشارة علي زيعور إلى سبقية سعيد بن المسيّب في التعبير هي محاولة التأكيد بأن ابن سيرين ليس المتصدر الأول لهذا العلم بل هناك من سبقه , ولو حللنا كلام زيعور سنستشفّ ضمنيا السابق حتى لسعيد نفسه وهي (أسماء بنت بكر) ولعلّ معرفة وخبرة هذه السّيدة الجليلة في التعبيّر لم تكن من فراغ ؟ . بل يمكن أنها ورثت هذا العلم عن الصّحابة إذ قد عرف بعضهم بخبرتهم الوافرة في تأويل الرؤى مثل الصديق أبي بكر فقد عده أصحاب الّسّير من المعبّرين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وشهرة ابن سيرين مردّها إلى ما نسّب إليه في مجالسه حالما يمارس فعل التعبير للرائين والوافدين إليه مستفسرين عن رؤاهم .

ونجده يستشهد بالإمام جعفر الصادق في تفسيراته بكثرة [2], واستشهاده به يوحي أن الصّادق قد سبقه في هذا العلم .

وزيادة على ذلك وكما ذكرنا سابقا بأنه معاصر للصحابة . فمن المنطقي أن يكون معشر الصّحابة لهم اليد الطّولى والسابقة عن ابن سيرين ولهم قصب السبق في تعبير الرؤى عنه وخاصة عبد الله ابن عباس الذي سمع عنه الحديث , وسيدنا عبد الله هذا عرف بخبرته في التأويل كما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **اللهمّ فقهه في الدين وعلّمه التأويل** "[3] .

وإذا كان شيوخ ابن سيرين من الصحابة فمن المحتمل الوارد أنه أخذ عن بعضهم علم التعبير والتأويل للرؤى كما أخذ سعيد عن أسماء من قبل ولعّله كان يفتح فضاءً لتعبير الرؤى في مجالسه فأشتهر بذلك .

[1] – علي زيعور , تفسير الحلم , ص 51 .

[2] – ينظر: المرجع نفسه, ص 50 .

[3] – رواه الإمام أحمد في مسنده رقم 2397 .

ومما يؤكده ابن خلدون أن ابن سيرين جعل لهذا العلم أصولا وأسس له مبادئا يقوم عليها فقال : " وكتبت عنه أي (عن ابن سيرين) في ذلك قوانين وتناقلها الناس لهذا العهد "[1].

ويقصد ابن خلدون بـ (القوانين) ما يحتاج إليه المعبّر من شروط وأصول تخصّ الرؤيا ويقصد بـ (تناقلها) أي أخذ بها المهتمون بالرؤى والأحلام وهم المعبرون كقواعد أساسية يحتاجها المعبّر .

وبناء على ذلك ، فما هي شروط المعبر التي اعتمدها ابن سيرين ؟

يضع ابن سيرين شروطاً ولوازم لمعبّر الرّؤى تُعينه على عملية التّأويل فقال: " ولزم على المعبّر أن يكون : عالما بكتاب الله ، حافظا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، خبيرا بلسان العرب واشتقاق الألفاظ ، عارفا بهيئات النّاس ، ضابطا لأصول التّعبير ،عفيف النّفس طاهر الأخلاق صادق اللّسان "[2]

والمتأمّل لشروط المعبّر عند ابن سيرين يُدرك أنّ شخصية المعبّر شخصية مميّزة ذات مستوى علمي معتبر تستمد قوتها المعرفية من القرآن والحديث لأنّهما المصدران المؤصّلان للفكر الإسلامي إضافة إلى كونها (أي شخصية المعبّر) مستندة إلى اللّسان العربي من لغة وشعر وأمثال سائرة كفضاء رحب يمكن الاقتباس من في التّأويل وذات خبرة اجتماعية عالية وفوق كون المعبّر مدركا لأصول التّعبير يؤكّد ابن سيرين على ضرورة عفّة نفسه وصدق لسانه لقوله صلى الله عليه وسلم :" أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا " [3] .

د- الكتب المنسوبة له في تأويل الرّؤى : يُنسبُ إلى ابن سيرين كتب في تفسير الأحلام وهي : (تعبير الرؤيا الصغير) و (تفسير الأحلام الكبير) و (منتخب الكلام في تفسير الأحلام) وكل

[1] – ابن خلدون , المقدمة , ص 519.

[2] . محمد بن سيرين ، تعبير الرّؤيا الصغير ، مطبعة المنار ، د ط ، تونس ، د ت ، ص 02 .

[3] . رواه مسلم , كتاب الرؤيا , رقم 2263 .

هذه الكتب منسوبة إليه نسبة فقط وليست محققة له على رأي أغلب المؤرخين وكتاب السيّر وقد ثبت في العنصر السابق خبرة ابن سيرين في الرؤى والأحلام ولكن لم يثبت تأليف كتاب في هذا الحقل .

- **فما مدى صحة هذا القول؟**

لو تتبعنا سيرة الإمام ابن سيرين وترجمة المحققين له لا نكاد نقف على إشارة تذكر مساهمته في التأليف في مجال الرؤى والأحلام , فأغلبهم يثبت كفاءته في تفسير الأحلام ولا يذكرون تأليفاته البتّة وهنا يطالعنا الزركلي قائلا : " ينسب له كتاب تعبير الرؤى ...ذكره ابن النديم وهو غير منتخب الكلام لتفسير الأحلام المطبوع المنسوب إليه وليس له ..."[1] , أما ابن القيم فقد نفى ذلك باعتبار أن ابن سيرين لم يؤلف في الحديث فقال: " وكان ابن سيرين وأصحابه لا يكتبون الحديث فكيف الرؤى ؟[2] , كما لم يشر الذهبي[3] إلى ذلك في سيره ولا ابن خلدون في مقدمته[4] بل اكتفيا بأنه ذو خبرة في التأويل فقط ولم يشر إلى التأليف .

ويشير الباحثون إلى أن "كتاب ابن سيرين المعروف بين أيدينا ما يزال يثير أسئلة : لماذا نسب إلى ابن سيرين "[5] .

إلى حدّ هذا القول يمكننا أن نستنتج أن الكتاب المنسوب إلى ابن سيرين هو منقول لم يؤلفه فابن سيرين كان نافرا من فكرة التأليف أصلا لعلّه كان منشغلا برواية الحديث ومدارسته وقد ثبت أنه لم يؤلف كتبا وما خلّف تراثا مكتوبًا , في أحد العلوم ناهيك عن علم الرؤى .

[1] – الزركلي , الأعلام , ج6 , ص 154.

[2] – أبو عبد الله شمس الدين محمد بن القيم الجوزية , الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ,مطبعة الآداب , د . ط , مصر، 1317هـ , ص256.

[3] – الذهبي , سير الأعلام ,ص 618.

[4] – ابن خلدون , المقدمة , ص 519.

[5] – علي زيعور , تفسيرات الحلم ,ص 52.

ومن زاوية نظر أخرى نجد أقلّة من المحققين نسبوا إلى ابن سيرين كتاب (تعبير الرؤيا) أو (منتخب الكلام في تفسير الأحلام)وقد ذكر هذا القول وأشار إليه المؤرّخ ابن النديّم في الفهرست إذْ عدّ (منتخب الكلام في تفسير الأحلام) منسوب إلى ابن سيرين .

ويشير بعض الدارسين إلى هذه فكرة ، محتمِلا ورودها مصيغًا طرحه بسؤال " وعليه فلماذا يورد لنا الفهرست كتابًا لأرطاميدورس (378) يقول لنا إنه في خمس مقالات , ثم يورد بعد سطر واحد اسم كتاب (تعبير الرؤيا) لابن سيرين ؟أليس هناك مجال للقول بأن ابن سيرين وضع كتابًا ضاع أو هو غير هذا الموجود راهنًا أو أنه وضع أكثر من مؤلف واحد؟"[1].

وبعد عرضنا لفكرة نسبة تأليف ابن سيرين في مجال الرّؤى يمكننا أن نخلص إلى أن تلك النسبة يخاللها الريب فهي غير ثابتة لأن كفّة المشككين راجحة على المحققيّن للنّسبة .

ولعلّنا لا نجانب الصّواب إن قلنا إن ابن سيرين كان مفسرًا بارعا للرؤى بل ومؤسسًا لعلم ثابت في تراثنا العربي والإسلامي فهو من أوائل من وضع اللبنات الأولى للمدرسة العربية الإسلامية في علوم الحلم [2] , أمّا بالنسبة إلى قضّية التأليف فأمرها موكول إلى أحدهم إذا جمع ما قاله ابن سيرين في حلقاته ونسجه في تأليف ثم نسبه لابن سيرين باعتباره هو الرائد في عصره في تأويل الرؤى وتفسيرها [3]

2)– أنواع الرؤيا وأصولها وآليات التأويل عند ابن سيرين :

أ)– أنواع الرؤيا عنده : يستند ابن سيرين في تقسيمه لما يراه الإنسان في منامه إلى حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم القائل : " **الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ مِنَ اللهِ والحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ** "[4] وعلى هذا الأساس والأصل النبوي فرّع ما يُرى في المنام إلى قسمين كبيرين هما : (الرُّؤيا والحُلُم) ثم نسب كل قسم إلى مصدره فقال :" اعلم ... الله أن ممّا يحتاج إليه المبتدئ أن يعلم أن جميع ما يُرَى في المنام

[1] – المرجع السابق , ص 50 .

[2] – ينظر: المرجع نفسه , ص 55

[3] – ينظر: المرجع نفسه والصفحة نفسها .

[4]. رواه البخاري ، باب كتاب التعبير ،رقم 6583

على قسمين قسم من الله وقسم من الشّيطان "[1] ، واستنادا إلى الحديث السالف الذكر نستنتج أن قسمي ما يُرى هما : **الأول : قسم (رؤيا) من الله** : " والمضاف إلى الله تعالى من ذلك الصّالح إن كان جميعه أي الصادقة وغيرها من الله تعالى [2] " **والثاني : قسم (حلم) من الشّيطان** : ويحدّده ابن سيرين بالمكروه من المنامات هى الذي يُضاف إلى الشيطان الذي أمر النّبي بكتمانه والتفل عن يساره ووعد فاعل ذلك أنّها لن تضره ... ثم مثّل لبعض المكروهات فقد تكون ترويعا أو تخزينا باطلا أو حلما يؤدي إلى الفتنة والخديعة والغيرة[3]

ويضيف ابن سيرين إلى قسم الحلم الشيطاني ما كان حديثا للنفس فقال :" وكذلك ما تراءى من حديث النفس وآمالها وتخاويفها وأحزانها مما لا حكمة فيه تدل على ما يؤول أمر رائيه إليه "[4]

ونستنتج من تفصيلات ابن سيرين إلى ما يراه الرّائي أنّ :

1- **الرّؤيا** من الله وهي الصالحة والتي يمكن تأويلها .

2- **الحلم** ويكون من الشيطان أو من النفس وحديثها ممّا لم يتمكن من الإنسان من تحقيقه في واقعه فيتراءى له في منامه .وهذا ما يصطلح عليه بأضغاث الأحلام وهو المنام الخالي من الرّموز .

- **ولكن : كيف يمكن لابن سيرين أن يميز بين الرؤيا والحلم ؟**

يميّز ابن سيرين بخبرته في علم العبارة والتّأويل بين الرّؤيا والحلم مستندا على ما أصّله فقال : "ينبغي للمعبّر أن يفهم صاحب الرّؤيا ويعرضها على الأصول :

[1]. محمد بن سيرين و عبد الغني النابلسي ، الجامع لتفسير الأحلام وتعطير الأنام ، تح : تامر عسكر ، دار الغد الجديد ، ط 1 ، المنصورة ، القاهرة ، 2007.ص 07.

[2]. انظر : المصدر السابق ، ص 07 .

[3]. انظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

[4]. المصدر نفسه والصفحة نفسها .

1 . فإن كان كلاما صحيحا يُشبه بعضه بعضا ويدل على معاني سليمة فهي الرّؤيا الصحيحة

2. وإن كان يحمل معانٍ مختلفة نظر إلى ما هو أولى بألفاظها وأقربُ إلى الأصل فيحملها عليه .

3 . وإنْ كانت الرّؤيا كلها مختلفة لا تلتئم على الأصول فهي أضغاث أحلام

4 . وإنْ اشتبه عليه الأمر في ذلك سأله عن ضميره في صلته إن كانت الرّؤيا في صلاة أو عن السّفر أو عن نكاحه إن كانت الرّؤيا في النّكاح ثم يقضي عليه بالضمير .

5 . فإن ولّت الرّؤيا على فاحشة أو قبيح أر أمره وعبّر عنه بأحسن عبارة وأسس ما تدل عليه الرّؤيا "[1]

ونستنتج من خلال هذا التمييز أن المنام المعبر والخاضع للتأويل هو ما كان من قسم الرؤيا لا الحلم ، ولذا أصل لها أصولا وضبطها .

ب) . أصول الرّؤيا عند ابن سيرين : يرى ابن سيرين أنّ للرّؤيا ثلاثة أصول هي : (الجنس، والصّنف و الطبع) .

1 . الجنس : مثل الشّجرة والسّباع والطّيور فهذه كلّها في الأغلب رجال

2. الصنف : حيث يُنظر إلى الصّنف فإن كانت الرّؤيا شجرة يُنظر إلى أي الأشجار هي ثم ... أي الأصناف هي ثم يقضي على ذلك فإن كانت من النّخل كان عزيزا أو عربيّا فإنّ منابت النّخل بلاد العرب ...

3. الطبع : حيث ينظر إلى الطبع إن كانت شجرة من النّخل قضيت بأنّه كثير الخير وطيب الأصل ..." [2]

[1] . ابن سيرين : تعبير الرّؤى الصّغير ، ص 05 ، 04 .

[2] . المصدر نفسه ، ص 05 .

وإن كان الجنس والصّنف يعنيان النّوع لكن الجنس حسب تأصيل ابن سيرين أعم من النّوع ، أما الصّنف فهو كذلك فهو ذلك النّوع الأخص من ذلك الجنس يقول الفيروز آبادي "الجنس بالكسر أعمّ من النّوع وهو كُلّ ضرب من الشّيء فالإبل جنس من البهائم " [1] و " الصّنف بالكسر والفتح النّوع والضرب " [2] .

أمّا الطبع فهو الصّفة المميّزة لذلك الصّنف وبذلك فهو أخص , لذا نجد ابن سيرين يؤصل للرّؤيا من العام إلى الخاص إلى الأخص وضرب لنا مثالا بالشّجرة وهو النّوع العام ثم خصّص صنفها وهو النّخل ثمّ خصّص طبع ذلك الصّنف وهو طيبة الأصل والعطاء والخير ، وعليه فمن رأى شجرة ففي الغالب هو تأويل ابن سيرين . رجل فإن كانت نخلة فهو رجل عربي طيب الأصل صاحب خير ، فالشّجرة هي الجنس العام والنّخلة هي الصّنف الخاص والأصل الطّيب هو الطّبع الأخص لصنف النّخلة .

3)- آليات التأويل ودرجات التعبير عند ابن سيرين :

أ) . آليات التّأويل : لم يكن ابن سيرين يعبّر الرّؤى ويؤولها بهواه أو بتداعيات فكره اللاوعية ولكن كان ينتهج سبيلا علميا ثابت الخطى مؤصلا وفق منهجية وآليات تحكمها أصول وقواعد مرتبة ومتزنة **و التأويل عنده يكون إمّا** [3]:

1 . من لفظ الإسم : قال ابن قتيبة : " ... وأنّ تأويلها (أي الرّؤيا) قد يكون مرة من لفظ الإسم ... فأمّا التّأويل بالأسماء فتحمله على ظاهر اللّفظ ..."[4] ويضرب لنا ابن سيرين مثالا للتوضيح كرجل اسم الفضل فإنّه يعبّر عنه بالفضل وراشد يعبّر عنه بالرشد وسالم يعبر عنه بالسّلامة

[1] . القاموس المحيط ، ص 561 .
[2] . المصدر نفسه ، ص 844 .
[3] . انظر : تعبير الرّؤى الصغير، ص 02 .
[4] . ابن سيرين و النابلسي , تفسير الأحلام الكبير ، ص 10 .

"[1] ويمكن الإستدلال برؤيا رسول الله صلى اللّه عليه وسلم التي قال فيها إنّه :" رأى اللّيلة كأنّا في دار عُقبَةَ بن رافِعِ فأتينا برُطَبِ ابن طاب فأوَّلتُ أنَّ الرّفعَة لنَا في الدّنيا والآخرةِ وأَنَّ دِينِنَا قدْ طَابَ " فأخذ من رافع الرّفعة وأخذ طيب الدين من ابن طاب "[2]

2 . من لفظ معناه : وهذا التّأويل " أكثر التّأويل عليه "[3] أي أنّ أكثر المعبّرين يذهبون طريقة التّأويل بمعاني ألفاظ الرّؤيا كالنّرجس والورد يعبّر عنهما بقلّة البقاء ... والأس بالضد لبقائه "[4]

3 . من ضدّه : أي بعكس معنى ذلك اللّفظ " مثل البكاء يعبّر عنه بالفرح ما لم يكن له رنّة أو صوت ... والفرح والضّحك والرّقص يبّر عنه بالحزن[5] وكقولهم في الطاعون إنّه حرب وفي الحرب إنّه طاعون زفي السّيل إنّه عدوّ وفي العدو إنّه السّيل "[6]

4 . من اشتقاقه :ويخصّص الاشتقاق هنا باشتقاق اللّغة فالمعبّر يحتاج إلى ذلك في عملية تأويله للرّؤيا مثل " الكفر أصله التغطية والمغفرة أصلها الستر والظلم وضع الشيء في غير محله "[7]

5 . بالزّيادة والنّقصان : حيث يرى الرّائي حالا معيّنا فيؤول بسوء يصيبه وقد يزاد في حال هذا المرئي صفة أو تنقص مثلا فيؤول بخير "كقولهم في البكاء إنّه فرح فإن كان معه رنّة كان مصيبة وفي الضّحك إنّه حزن فإن كان تبسّما كان صالحا "[8] وهكذا .

ب). درجات تعبير الرّؤيا[9] : يرى ابن سيرين أن الرّؤيا قد تعبّر :

---

[1] . ابن سيرين ، تعبير الرّؤى الصغير، ص 03 ، 04 .

[2] . محمد بن سيرين , تفسير الأحلام الكبير ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، 2000 ، ص11 .

[3] . المصدر نفسه و الصفحة نفسها .

[4] ابن سيرين ، تعبير الرّؤى الصّغير ، ص 04 .

[5] . المصدر ، نفسه والصفحة نفسها .

[6] . ابن سيرين ، تفسير الأحلام الكبير ، ص 12 .

[7] . المصدر نفسه , 09 .

[8] . المصدر نفسه ، ص 15 .

[9] . انظر : ابن سيرين ، تعبير الرّؤيا الصغير ص 02 .

1 . باختلاف أحوال الأزمنة والأوقاف :

ويشير ابن سيرين إلى أنّ أصدق أوقات الرّؤيا أواخر اللّيل – واختص آخره لأن له معنى – كذلك وقت القائلة بالنّهار وأصدق الأزمنة وقت إدراك الثّمرة وبيعها وأضعف الرّؤيا بزمن الشّتاء ومجيء المطر "[1]

2 . من كتاب اللّه : ويستند ابن سيرين هنا في تأويله إلى القرآن الكريم "كالبيض يعبّر عنه بالنّساء لقوله ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾[2].

3 . من حديث رسول صلى الله عليه وسلم :"كالغراب يعبّر عنه بالرّجل الفاسق لأنّ النّبي صلى الله عليه وسلم سمّاه فاسقاً.. وكالفأرة يعبّر عنها بالمرأة الفاسقة لقوله صلى الله عليه وسلم : "... و**الفَأْرَةُ فَاسِقَةُ** "[3]

4 . من الأمثال السّائرة : وهنا يعتمد ابن سيرين على ما هو سائد بين النّاس من حِكم وأمثالٍ ، "كالرّجل يرى في يده طولاً فإنّه يعبِّر عنه باصطناع المعروف لقولهم : " هذا أطول يدا أو ... أو أكثر عطاءًا ... أو الاحتطاب يعبّر عنه بالنمّيمة لقولهم :" من مشى بين النّاس بالنّميمة فإنّه يحتطب " [4]

5– بصرفها عن الرّائي إلى نظيره وسميّه : " وبذلك يوصل إلى فوائد الرّوائد وعوائدها وربّما رأى الإنسان الشيء فعاد تأويله إلى شقيقه أو ربيبه أو سميّه أو نسيبه أو صديقه أو جاره أو شبهه في فن من الفنون أو يشترك بين النّاس في الرّؤيا بوجهين من هذه الأسباب ... بدليل يرى عليه وشاهد في اليقظة والنّظر يزيد عليه " .[5]

---

[1] . المرجع السابق ، ص 05 .

[2] . سورة الصافات الآية 49

[3] . رواه الإمام عبد الله بن المبارك في مسنده ، رقم192 .

[4] . ابن سيرين ، تعبير الرّؤيا الصغير ، ص 03 .

[5] . ابن سيرين و النابلسي ، الجامع لتفسير الأحلام وتعطير الأنام ، ص 11.

الفصل الثاني

تلقي نصوص الرؤيا عند ابن سيرين قراءة في سميائية الرمز والأبعاد الدلالية .

المبحث الأول : النص الأول لابن سيرين بين تلقي الرؤيا ووظائف الاتصال.

المبحث الثاني : نصًّا الرؤيا عند ابن سيرين : قراءة في الرموز و سيميائية اللون.

تمهيد :الرؤيا عند ابن سيرين ووظائف الاتصال بين الرائي والمؤول :

تعتبر الرؤى والأحلام نصوصا لها خصوصيتها عن باقي النصوص ماهية وظيفة ومع ذلك يمكن اخضاع النص المنامي الى التحليل وفق وظائف اللغة عند جاكبسون واذا اتخذنا هذه الوظائف كأداة محللة للنص المنامي من حيث أنه نص تتنازعه العوامل الاتصالية الستة وتعلق كل عامل بوظيفة تخصصه.

ولما كان الحقل المدروس حقل الرؤى والأحلام عند ابن سيرين فانه من الضروري توظيف مصطلحات هذا الحقل ونستعين ببعض مصطلحات جاكبسون مع بعض التعديلات باعتبار النص المنامي له خصوصيته.

وتطبق نظرية اللغة لجاكبسون في تحليل النصوص باعتبار النص بنية تتضمن رسالة تتآلف معها العوامل الخمسة الباقية المرسل والمرسل اليه والسياق والقناة والرموز (السنن).

وعلى هذا الأساس فان مصطلح (الرائي) هو بمثابة (المرسل)والرؤيا بمثابة الرسالة والمؤول (ابن سيرين)بمثابة المرسل اليه والرموز بمثابة (السنن)أما المصطلحات (السياق) و(القناة) أو (الاتصال) فبقيا على حالهما لتوافقهما مع طبيعة النص المنامي .

ونذكر –ومن خلال تحليلنا للرؤى – أن الرائي والمؤول اللذين هما بمثابة المرسل والمرسل اليه قد يتبادلان الأدوار في أحوال معينة بحيث ان الرائي في حال سرد رؤيته يكون في مقام المرسل وابن سيرين (المؤول) مرسل اليه وحيث ابن سيرين مؤول للرؤيا فهو في مقام المرسل أي مرسل تأويله (نص التأويل) الى الرائي فيؤول هذا الأخير مرسلا اليه فحصل بذلك تبادل للأدوار في هذين المقامين.

واعتبر جاكبسون في نظريته أن لكل فعل اتصالي عوامل ستة متداخلة ولكل عامل وظيفة فاعلة ، ويشرح ذلك قائلا :" ... إن المرسل يوجه رسالة إلى المرسل إليه ولكي تكون الرّسالة فاعلة فإنّها تقتضي بادئ ذي بدء سياقا تحيل عليه وهو ما يدعى أيضا المرجع باصطلاح عامض نسبيّا " سياقاْ

قابلا لأن يدركه المرسل إليه وهو إمّا أن يكون لفظيا أو قابلا لأن يكون كذلك ، وتقتضي الرّسالة بعد ذلك سننا (نظام الترميز) مشتركا كليّا او جزئيا بين المرسل والمرسل إليه (أو بعبارة اخرى بين السنّن ومُفَكِّكْ سنن الرسالة) وتقتضي الرّسالة أخيرا اتصالا أي قناة فيزيقية وربطا نفسيا بين المرسل والمرسل إليه اتصالا يسمح لهما بإقامة التّواصل والحفاظ عليه ويمكن لمختلف هذه العناصر التي لا يستغني التواصل اللّفظي عنها[1].

وعليه فالعوامل المكوّنة لكل فعل تواصلي لفظي هي ستة عوامل كالآتي : 1 . مرسل 2 . رسالة 3 . مرسل إليه 4 . سياق 5 . سنن (رموز) 6 . اتصال (قناة) .

ويستطرد جاكبسون – مشيرا إلى الوظائف – " يولد كل عامل من هاته العوامل وظيفة لسانية مختلفة ، ولنقل على الفور إنّه إذا ميّزنا ستة مظاهر أساسية فيا لّغة سيكون من الصّعب إيجاد رسائل تؤدّي وظيفة واحدة ليس غير "[2]

ومنه ميّز ست وظائف ، كلٌّ وظيفة تختص بعامل فاعل في الفعل اللساني أو التّواصلي وهي :(1 . الوظيفة الانفعالية – المرسل)(2 . الوظيفة الشّعرية – الرسالة)(3 . الإفهامية – المرسل إليه) (4 . المرجعية – السياق)(5 . الوظيفة الميتا لسانية (لغوية) – السّنن)(6. الوظيفة الإنتباهية – القناة) فنجد :

1 . الوظيفة الانفعالية : ويسمّيها جاكبسون أيضا بالتّعبيرية وهي المركّزة على المرسل إلى أن تعبّر بصفة مباشرة عن موقف المتكلّم تجاه ما تتحدّث عنه وهي تنزع إلى تقديم انطباع من انفعال صادق أو خادع .[3]

[1] . رومان جاكبسون ، قضايا الشّعرية ، ترجمة محمد الولي ومبارك حنوز, دار توبقال للنشر ، ط 1، الدّار البيضاء ، المغرب ، 1988.ص 27

[2] . المرجع السابق ، ص 28 .

[3] . المرجع نفسه ، ص 28 .

وبالتالي فهي تركّز على عواطف المرسل ومواقفه الشّعوريّة وتظهر في طريقة نطقه أو أدوات تعبيرية مثل التّعجّب ومن تظهر انها توظيف الضمير (أنا) في الخطاب .[1]

2 . الوظيفة الإفهامية : ويطلق عليها بعض اللّسانيين مصطلح (وظيفة تأثيرية)وهو مصطلح مهم يمكن استثماره إلى جانب الإفهامية ... وتبرز هذه الوظيفة على سطح الخطاب عندما تتجه الرسالة إلى المرسل إليه) .[2]

ولهذا الخطاب ذي الطابع الإفهامي مميزات هي : (التأثير . الإقناع . الاستماع . والإشارة).

1-1- التأثير : إن الحدث اللساني هو رباط الوصل بين الباث والمستقبل [3] حيث يضيف المرسل بصمات تاثيريةإلى المرسل إليه عن طريق معادلة ذات طرفين متناقضين هما (المفاجأة والتشبّع) كما بيّنها المسدي .[4]

أ . المفاجأة :وهي" تولد غير المنتظر من المنتظر "[5] أي إخراج المفاجئ من الأمور المعقولة العادية التي لا تلفت نظر القارئ العادي أو السّامع إلا بدخولها ضمن هذا النسق الأسلوبي المفاجئ المميّز " .[6]

ب . التشبّع : وهي عمليات تكراريّة توظف في الخطاب وبكثرتها تتنازل حدّة التّأثير على المرسل إليه لهذه الرسالة " .[7]

[1] . – عبد السلام المسدي , الأسلوبية والأسلوب , الدار العربية للكتاب ، ط3 ، تونس ، دت ،ص136 .

[2] . الطاهر بومزبر , التواصل اللساني والشعرية : مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون (الدار العربية للعلوم . ناشرون . بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2007) ص 39 .

[3] . فاطمة طوبال ، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون ، المؤسسة الجامعية ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1993 ، ص 40 .

[4] . المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، ص 86 .

[5] . جاكبسون ، محاولات في اللسانيات العامة ، منشورات دومنوي ، باريس ، فرنسا ، دط ، 1970 ، ص 288 .

[6] . الطاهر بومزبر , التواصل اللساني ، ص 40 .

[7] . المرجع نفسه ، ص41 .

2-4 . الإقناع : " حيث توظف الحجج المنطقية ونظرية في الخطاب الحجاجي الذي يعتمد على موضوع النص لا على النص " . [1]

3-4 . الإمتاع : " وتهدف إلى إدخال النّشوة في نفس المستقبل حيث يتحول الكلام إلى قناة تعبُره المواصفات التعاطفية فينطفئ عند الجدول العقلاني في الخطاب .كما يرى طه عبد الرحمان . وتحل محله نفثات الارتياح الوجداني " . [2]

4-4 . الإثارة : " وتتولد من خطاب ما عندما يتحول إلى عامل استفزاز يحرك في المستقبل نوازع ردود فعل " . [3]

3 . الوظيفة الانتباهية : وتخصّ القناة وتؤدّي وظيفة المحافزة على سلامة الاتصال والتّاكد من استمرار سلسة الرسائل ويوكد جاكبسون " إنّ هناك رسائل توظف لإقامة الاتصال وتمديده او فهمه ... أو ما إذا كانت دورة الكلام تشتغل "[4] ويشترك في هذه الوظيفة المرسل والمرسل إليه .

4 . الوظيفة المرجعية : وأطلق المسدّي المعرفية أو الإيحائية وتخص السّياق وعندما تتجه الرسالة إلى السياق " حيث تحيلنا اللغة إلى أشياء وموجودات تتحدّث فيها وتقدم اللّغة فيها بوظيفة الرمز إلى تلك الموجودات والاحداث المبلّغة " [5]

فاللغة في الرسالة من حيث سياقها ومرجعيتها تعبّر عن أضياء واحداث وأحوال زمن فهي إذا ما يحيل السياق من واقع .

5 . الوظيفة الميتا لغوية : (**لسانية**) وهي الخاصّة بالسّنن أي نظام الترميز بحيث نجد أن كل نظام للسّنن يحتوي على رموز يوظّفها المتخاطبان في العملية التواصلية فيكون بذلك التواصل قائما . وكما

[1] – طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام , المركز الثقافي العربي , ط2 , الرباط المغرب , 2000.ص 30 .
[2] – جاكبسون ، قضايا الشعرية ، ص 30
[3] – المسدي ، الأسلوبية والاسلوب ، ص 159
[4] – جاكبسون ، قضايا الشعرية ، ص 30
[5] – المرجع نفسه ، ص 159 .

يرى صلاح فضل فإن " المنطق الحديث يميز مستويين من الكلام هما الكلام عن الأشياء والكلام عن الكلام أو ما يسمى أيضا ب (ماوراء اللغة) .[1] وهو المسمّى أيضا بـ (ما وراء اللغة) أي ما تشير إليه المعاني فهي متجاوزة السّطح وهنا تتناول الرموز الحيوانية والمكانية والاسطورية .الخ

6 . الوظيفة الشّعرية :وترتكز على الرّسالة وهي العامل الأساسي في العوامل التّواصلية وتهتم بالشّعرية المضمنة فيها ويرى جاكبسون أنّ الشعريات هي " الدراسة اللّسانية للوظيفة الشّعرية في سياق الرّسائل اللّفظية عموما وفي الشّعر على وجه الخصوص "[2] فالوظيفة الشعرية تدرس الرسالة من داخلها وما تمنته من صور بيانية وأخيلة ومجازات وكل ما له صلة بالبيان والمعاني فيما يحقق الشعرية .

وبعد عرضنا الموجز للعوامل الستة للتواصل ولواحقها من الوظائف اللّغوية نشير إلى أن دراستنا التّطبيقية في مبحثها الأول سنحاول تحليل الرؤيا الأولى وفق الوظائف اللغوية للاتصال وفي مبحثها الثاني سنحاول تحليل رؤيتين مع رصد لرموزها وقراءة سيمائية في اللون ، مستأنسين بوظائف اللغة التواصلية أيضا.

[1] . صلاح فضل، علم الأسلوب مبادؤه وإجراءاته , دار الشروق , ط1 , مصر , 1998 ، ص 55 .
[2] . جاكبسون ، قضايا الشعرية ، ص 78 .

المبحث الأول : نص الرؤيا : بين تلقي الرؤيا ووظائف الاتصال

أ)– نص الرؤيا :" أتى ابن سيرين رجل فقال: رأيت كأّنّ طائرًا جاء من السمّاء فوقع بين يدي فقال : هي بشارة تأتيك فتفرح بها " [1]

ب)– تحليل الرؤيا وفق الوظائف اللغوية :

1– الوظيفة التعبيرية : ويسمى الانفعالية وتركز على المرسل وهي بذلك تركز على عواطف المرسل ومواقفه وتظهر في طريقة نطقه أو أدوات تعبيره مثل التأوّه والتعجب ...[2] والمرسل هنا هو الرائي أما الرسالة فهي نص الرؤيا التي سيبثّها الرجل إلى ابن سيرين ونلتمس من خطاب الرؤيا حيرة تختلج في ذات مصدر الخطاب ونستشفّ الشعور بالحيرة من تعبيره ذي المدلول المتجاوز للواقع فرؤيا الطائر ليس أمرًا غريبا وإنما الغريب وقوعه بين يدي الرجل ولذا فهو متعجب وحائر من هذا الوقوع فأتى ابن سيرين يستفسر ما رأى وقد جسّد في الضمير(تُ) أي (أنا الذي رأيت) ليبادره ابن سيرين بالتبشير بقوله (هي بشارة) ليخفف عنه الروّع والخوف أو الحيرة مما رأى فالضمير (هي) يعني (رؤيتك) وبما أنها للرجل نفسه أكدّ ابن سيرين بفعلين (تأتيك) و(تفرح) وكلاهما يدلاّ أنّ وقوع الطائر الذي حيّرك هو فرح وبشارة لك وربما أن هذا الرجل سيحصل على عمل يفرح به لان ابن سيرين يرى أن الطائر المجهول " يدل على العمل لمن رآه على رأسه وعلى كتفه وفي حجره أو عنقه " [3].

2– الوظيفة الإفهامية : سمّاها بعض اللسانيين ب (التأثيرية) وهي موجهّة إلى المرسل إليه (المتلقي) وغايتها التأثير على المخاطب وتظهر هذه الوظيفة على سطح الخطاب (التعبير) ونجد الرائي يحاول التأثير على المعبّر وإثارته من خلال العلامات المرئية المرموز بها التي تظهر في أسلوب الرجل الموجّه إلى ابن سيرين وسنتحدث عن مميزتين أسلوبيتين تظهر في الخطاب الإفهامي هما (ميزة التأثير وميزة الإثارة).

[1] – ابن سيرين , التفسير الكبير , ص 187.

[2] – المسدي , الأسلوبية والأسلوب , ص158.

[3] – ابن سيرين , التفسير الكبير , ص179.

1-1- ميزة التأثير : يذكر اللسانيون أن الحدث اللساني رباط الوصل بين الباثّ والمتقبّل ويضيف المرسل لهذا الحدث بصمات تأثيرية من المفاجأة [1] ويقصدون بالحدث اللساني الخطاب المنتقل من المرسل إلى المرسل إليه ولما يوجّه الرائي . هنا . خطابه ورسالته إلى المؤول (ابن سيرين) فهو بذلك يمارس وظيفته الإفهامية محاولا التأثير عليه ويعدّ عنصر المفاجأة أحد أدوات التأثير لذا يذكر جاكبسون أن المفاجأة " تولد غير المنتظر من المنتظر " [2] بمعنى إخراج المفاجئ من الأمور المعقولة العادية التي لا تلفت نظر القارئ أو السامع إلاّ بدخولها ضمن هذا النسق الأسلوبي المفاجئ المميّز " [3] , وحتى يؤثر الرجل على ابن سيرين ذكر في خطابه شيئا غريبا مفاجئا ,فرؤية الطائر شيء مألوف ولكن الغير المألوف والغريب وقوعه بين يديه ولهذا أتى الرجل مستفسرًا عن هذا الوقوع فالفعل (وقع) في سياق الرؤيا أحدث المفاجأة باقترانه مع شبه الجملة (بين يدي) لتكون له شحنته تأثيرية على متلقي الرؤيا ومنه نرى رد ابن سيرين السريع (هي بشارة) .

1-2- ميزة الإثارة :وتظهر هذه الإثارة في المتلقي سواء بحركة أو سلوك أو قول وذلك بواسطة خطاب الرائي ومن الطبيعي أن يولد التأثير إثارة ويرى عبد السلام المسدي أن الإثارة "تتولد من خطاب ما عندما يتحول إلى استفزاز يحرّك في المتقبل نوازع ردود فعل " [4] والمتأمل في جواب ابن سيرين السريع يستشف أنه استثير بشحنة المفاجأة التي أحدثها الرجل في خطابه وظهرت في تعبيره (فوقع بين يدي) فكان ردّ الفعل سريعا من ابن سيرين (هي بشارة) وسرعة الردّ دليل على التأثر بالحدث وهنا كأن الرجل في خطابه استفزّ ابن سيرين فكان جوابه مباشرا ودقيقا ومختصرًا (هي بشارة) كخطاب يفلك رمزية العلامات المرئية ويظهر أن ابن سيرين لم يتمهل في الجواب , وعليه فسرعة الردّ وعدم التمهل والاختصار في الجواب هي مؤشرات على حصول الإثارة في نفسية ابن

[1] – ينظر: الطاهر بومزبر ,التواصل اللساني والشعرية, ص 40.

[2] – جاكبسون , محاولة في اللسانيات العامة, ص 288.

[3] – المرجع نفسه , ص 288.

[4] – عبد السلام المسدي , الأسلوبية والأسلوب , ص 158.

سيرين ومن طبيعة الإنسان المسْتنفرِّ سرعة الردّ دون تمهّل مع اختصار الجواب لسؤال واستفسار السائل .

3- الوظيفة الإنتباهية : وتخص هذه الوظيفة القناة أي الوسيط الذي بواسطته يوصل المرسل رسالته إلى المرسل إليه وهي "نمط لغوي خارج عن الخطاب الإبلاغي لتزويد المتلقي بقيم إخبارية "[1],وتهدف هذه الوظيفة إلى التبليغ لإقامة التواصل أو إيقافه ولفظة (قال) تثبت اتّصال الرجل بابن سيرين وكذلك الفعل (أتى) أي إلى مجلس المؤول وربط بين الجملتين بالفاء العاطفة الدّالة على الترتيب والتعقيب وتعكس الفاء الكلام بعد دخول المجلس وكذلك الفعل(قال) في جواب ابن سيرين التي تثبت قوة الاتصال بين الرائي والمؤول .

ومما يثبت الاتصال أيضا سرعة ابن سيرين في التأويل دون تمهّل (هي بشارة) وكأنه يقول له : لا تخف من وقوع هذا الطائر بين يديك فهو بشارة ستفرح بها , وكل هذا عبر قناة واصلة بين الرائي والمؤول .

4- الوظيفة المرجعية : ويطلق عليها كذلك (المعرفية) و(الإيحائية) وتخصّ السياق وعندما تتجّه الرسالة إلى السياق وتركز عليه نجد " أن اللغة فيها تحيلنا إلى أشياء وموجودات تتحدث فيها وتقوم اللغة فيها بوظيفة الرّمز إلى تبك الموجودات والأحداث المبلّغة " [2].

فاللغة إذًا في الرسالة من حيث سياقها ومرجعيتها تعتبر وتسفر عن أشياء وأحداث وأحوال في ذلك المكان أو الزمان ومجملا ما يحيل إليه السياق من واقع .

وإذا استقرأنا سياق نص هذه الرؤيا ندرك بعض ملامح الواقع في ذلك القرن التابعي والمحيط السائد آنذاك ,وهنا الرؤيا تعكس لنا الواقع الذي كان يعيشه ابن سيرين وهو الواقع العلمي الحافل بالحلقات العلمية عموما وأحيانا فتح حلقات خاصة بتفسير الرّؤى ولفظة (أتى)دليل على مجيء سائل

[1] - الطاهر بومزبر ,التواصل اللساني, ص 43.

[2] - المسدي ,الأسلوبية والأسلوب , ص 159.

, وتبّين وفود الناس إلى حلقته وقد وردت لفظة (رجل)نكرة دون وصف لهويته ,أهو من العلماء أو الطلاب أو من دهماء الناس؟ ,والظاهر أنه من العامة لأن في الغالب لما يستهّل النص المنامي فيما يروي ابن سيرين يذكر اسم الراوي إن كان من طبقة العلماء , أما إن كان من العامة فيكتفي بلفظة (رجل) فقط .

5- وظيفة ما وراء اللغة : فالرائي هنا سرد علامات مرموزة تحتاج إلى تأويل وقد فكك ابن سيرين تلك العلامات والرموز بلغة سهلة واضحة وجمل قصيرة موجزة وكان لابن سيرين قدرة كبيرة في معرفة رمزية الدّال الذي هو الطير الواقع بين يدي الرجل ,حيث اتضح مدلول الرمز في البشارة والفرح .

ورمزية الطير في الثقافة العربية الانطلاق والانعتاق ويناسب هنا معنى البشارة والفرح و " يظل الطير من خلال تغريداته الشجية وتوقه الدائم للحرية , والتعالي والسمو الإعتاق من كل ما له صلّة بالأرض , يترجم توق البشرية إلى كل هذه الرموز , وتدفع بالإنسان كي يتخذّ الطائر كرمز ذو دلالات في مخياله الثقافي , مستعينا بإيحائته في الأدب , ومن أشكاله و ألوانه كخزان لذاكرته التشكيلية , واعتبر المتصوفون الروح البشرية مثل الطائر ترفض أن تضل حبيسة هذا العالم الفاني [1] .

6- الوظيفة الشعرية : وترتكز على الرسّالة وهي العامل الأساسي من عوامل التواصلية و مصطلح الشعرية مصطلح نقدي في الدراسات الحديثة يحدد جاكبسون مفهومه بأنّه الدراسة اللسانية للوظيفة الشعرية في سياق الرسائل اللفظية عمومًا وفي الشعر على وجه الخصوص " [2] , وعليه تستند هذه الوظيفة إلى الصور البلاغية وعلى المؤول أن يحلل تلك الصور ويفكك رموزها وبذلك التحليل يدرك المعاني وراء تلك السّنن .

ونص هذه الرؤيا انطلاقا من سرد الرجل استهّل بالتشبيه (كأّن طائرًا) ويعني هذا أنّه لم يرّ طائرا حقيقيّا في واقعه وبالتالي ينتقل الطائر إلى الرمزية ويأتي الرجل مستفسرّا عن هذا الدّال (الرمز) ليبادره

[1]- صلاح الراوي , الفولكلور في كتاب حياة الحيوان , سلسلة الدراسات الشعبية , العدد 73 , القاهرة , 2003 , ص 63 .
[2]-المسدي، الأسلوبية والاسلوب ، ص 78.

ابن سيرين بتفكيك الرّمز قائلا (هي بشارة) وعليه فالطائر المجهول الواقع بين يدي الرجل هو رمز للبشارة والفرح .

ويلفت نظرنا توظيف حرف العطف (الفاء) الدال عن الترتيب التعقيبي في أربعة مواضع اثنان في المقدمة وحصل الرائي واثنان في خطاب المؤول كالآتي :(فقال = فوقع)(فقال = فتفرح بها) ورمزية الفاء في هذا السياق السرعة , فأما سرعة ردّ ابن سيرين في خطابه فتعكس حالته النفسية المضطربة جرّاء ما رأى ,أما سرعة رد ابن سيرين في خطابه فتعكس مراعاة المؤول لحالة الرائي فكانت تخفيفا على وطأة خوفه وهلعه فالمتلقي . ابن سيرين . قام " بإزالة الإبهام من المرسلة بغية الوصول إلى تحديد الهدف الرئيسي من بنائها " [1] ,والهدف الرئيسي حسب ابن سيرين هو تأويله الطائر الواقع بين يدي الرجل إلى بشارة مفرحة .

[1] – ميشال زكريا , الألسنية علم اللغة الحديث :المبادئ و الأعلام , المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع , ط 2 , لبنان , 1983, ص 68.

المبحث الثاني : نصَّـا الرؤيا : قراءة في الرموز و سيميائية اللون :

أ)– نصُّ الرؤيا الأولى : أتى لابن سيرين رجلٌ فقال :رأيت عسًّا من لبنٍ جيء به حتّى وضع ثم جيء بعسٍّ آخر فوضع فيه فوسعه فجعلت أنا وأصحابي تأكل من رغوته ثم تحول رأس جمل فجعلنا نأكله بالعسل فقال : أما اللّبن ففطرة وأمّا الذي صبّه فيه فوسعه فما دخل في الفطرة من شيء وأمّا أكلكم رغوته فيقول الله تعالى :﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ ﴿١٧﴾ ﴾ [1] وأمّا البعير فرجل عربي وليس في الجمل شيء أعظم من رأسه ورأس العرب أمير المؤمنين وأنتم تغتابونه وتأكلون من لحمه وأمّا العسل فشيء تزينون به كلامكم وكان ذلك في زمان عمر بن عبد العزيز "[2] .

ب)– تحليل الرؤيا وفق الوظائف اللغوية :(مع رصد للرموز)

1– الوظيفة التعبيرية : وهي الوظيفة المتعلقة بالمرسل الذي هو الرجل راوي الرؤيا إذ يعبّر عن انفعالاته وعواطفه وانفعالات أصحابه باعتبار الراوي الذات الباثة للخطاب فهو يرسل سلسلة وحدات خطابية ذات علامات مرموزة تظهر في طريقة نطقه أو أدوات تعبّر عن تلك الانفعالات ومن تمظهرات هذه الوظيفة توظيف الرجل للضمير (أنا) وضمير المتكلم (تُ) الذي يثبت ويؤكّد حقيقة أنه هو ذاتًا واجتماع أصحابه كانوا يأكلون رغوة اللبن وهو فعّل حيره مما دفعه إلى الاستفسار وليؤكد حيرته وتعجبّه وظف حرف العطف (ثم) الدّال على الترتيب بمهلة متراخية وكيف تحوّل ما في القدح (العس) إلى رأس جمل والأعجب أكله بالعسل ؟ وفي هذه الرؤيا اجتمعت عدّة أشياء دفعت الرائي للتعجب والاستغراب , إذ كيف نأكل رغوة اللبن ونترك اللبن ؟ وكيف تحول ما في القدح غلى رأس جمل ؟ وكيف نأكل ذلك الرأس بالعسل ؟ وهي أمور تخالف الواقع تماما وكأنه يقول لابن سيرين ماذا تقول في حدوث هذه الأشياء الغريبة والمحيّرة ؟.

[1] – سورة الرعد , الآية 17.

[2] – ابن سيرين : تفسير الأحلام الكبير , ص 93.

2– الوظيفة الإفهامية :وقد ذكرنا سابقا أنها موجهة إلى المرسل إليه " ومن هنا فإن الوظيفة التأثيرية (الإفهامية) هي التي تقوم على تحديد العلاقات الموجودة بين المرسل والمتلقي حيث يتم تحريض المتلقي وإثارة انتباهه " [1]ويمكن أن نكشف ذلك التأثير من خلال أسلوب الخطاب ولو تتبعنا هذه الرؤيا لالتمسنا في خطابها تعابير تدفع المتلقي إلى التأثر ولذا نجد ابن سيرين يؤول كل دالٍ (رمز) إلى مدلوله ومعناه المقصود ونقف على بعض مميزات الأسلوب فيما يخص خطاب هذه الرؤيا :

-1-1– التأثير :

أ– المفاجأة : وتظهر المفاجأة في إخراج المفاجئ من الأمور المعقولة فرؤية قدح اللبن ورغوته ورأس الجمل والعسل كلها عناصر معقولة وعادية في الواقع ولكنّ المفاجئ الأكل من رغوة اللبن وتحول ما في القدح إلى رأس جمل ثم أكل ذلك الرأس بالعسل وتدافع هذه العناصر مع بعضها البعض يدفع لزامًا إلى المفاجأة ومنها التأثير على المعبّر ومن خلال تأثر هذا الأخير سيؤوّل سنَن (رموز) الرؤيا سواء مبشرًا أو منذرًا .

ب– الإثارة : استنادا إلى عنصر المفاجأة المؤثر على المتلقي نجد انبثاق عنصر الإثارة بسبب المفاجأة فالرجل الذي رأى مشاهد هذه الرؤيا أحدث إثارة بجمعه بين عناصر لا يستساغ الجمع بينهما أو لا يمكن التأليف بينهما أصلا وعنصر الإثارة يظهر في خطاب الرؤيا يكمن في قول المرسل (نأكل من رغوته) و(تحول رأس جمل)و(نأكله بالعسل) فتولد من هذه الإثارة الخطابية استفزاز جرّ ابن سيرين إلى التفصيل في تفكيك رموز هذه الرؤيا وظهر التفصيل في توظيف (إمّا التفصيلية).

والدليل على أن خطاب الرجل الرائي أثار ابن سيرين وحرّك فيه نوازع ردود فعل . على تعبير المسدّي . هو تفصيله الدقيق لكل مشهد تضمّن رمزًا مروّى بعنصري المفاجأة والإثارة الفاعلتين في التأثير على مؤول الخطاب .

[1] – جميل حمداوي , التواصل اللساني والسيميائي والتربوي , ط1 ، 2015 ، ص 43. انظر www.alukah.net

3- الوظيفة الانتباهية :تشتغل هذه الوظيفة مع القناة ومهمة القناة التبليغ والتواصل وهدف هذه الوظيفة إقامة الاتصال فيها أو إيقافه , وقد تحقق الاتصال من خلال قناة هذه الرؤيا ودليله الفعل (أتى) والفعل (قال) فالأولى في إشارة إلى الإتيان إلى حلقة ابن سيرين والثاني إشارة إلى بداية السرد وإتيان الرجل إلى ابن سيرين وخطابه له فيه إشارة واضحة على إقامة الاتصال كما تظهر لنا إشارة أخرى في ردّ ابن سيرين ودليلها الفعل (قال) الثاني حينما فصّل تأويله للعلامات المرموزة وكذلك قوله تغتابونه وتأكلون وتزينون وتوظيف الضمائر (كمْ) (أنتم) و(واو الجماعة) في خطابه .

4- الوظيفة المرجعية : فالخطاب في هذه الرؤيا من حيث سياقه يسفر عن زمن معين وأحوال مخصوصة كانت ظاهرة في الواقع الاجتماعي السّائد في عصر ابن سيرين كانتشار الغيبة والنميمة والكذب , كما نستشف من السياق انتشار الحلقات العلمية (أتى ابن سيرين رجل) وتتجلى الثقافة الإسلامية وتظهر في توظيف القرآن الكريم ومصطلح (أمير المؤمنين) و(الفطر) .

وقد ختمت الرؤيا بإشارة جليّة إلى عصرها ألا وهو عصر عمر ابن عبد العزيز .

5- الوظيفة الشعرية :تركّز هذه الوظيفة على أهمّ عامل أساسي في العملية التواصلية هو الرسالة المتضمّنة خطاب هذه الرؤيا ويؤكد عبد الرحمن الحاج صالح أن الخطاب " بنية خاصة وطرق تعبيرية خاصة لتأدية أغراض خاصة "[1], ويشكل ما رآه الرجل بنية خطابية ذات أغراض بلاغية متضمّنة في باطن النص حيث تدرس الوظيفة الشعرية ذلك المعنى الباطني محلّلة سطح الخطاب ومؤدي هذا الدور هو المتلقي أو المؤول المتمثل في ابن سيرين إذْ يقوم بتأويل تلك الدوال المرمزة وتفكيكها يصل إلى مدلولات تلك السَّنن في النص .

والمتأمل في الرسالة سيجدها هي النص الذي سرده الرجل والمستهلُّ بلفظة (رأيت) والمختتم بلفظة (العسل) وهنا الرجل في مقام المرسل وابن سيرين رسل إليه ويؤول المقام بالعكس في حال التأويل إذ يكون ابن سيرين هو المرسل والرجل هو المرسل إليه .

[1] - عبد الرحمان الحاج صالح, التحليل العلمي للنصوص بين علم الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية, ص 12.

وعلى هذا الأساس تختلف رسالة نص الرجل عن رسالة (نص) ابن سيرين من حيث المفهوم والتركيب والوظيفة والسّرد وخاصية نص الرجل (الرؤيا) مغلقة بالسّنن (الترميز) أما خاصية نص ابن سيرين فمفتوحة لأنه نص مفكّكٌ لتلك الرموز , ومن هذه الحيثية اختلفت الوظيفة الشعرية في كلا الرسالتين .

وتتجلى الكناية في نص الرؤيا حيث وظّف الفعل(نأكل) الأول متعدّيا بحرف الجر (منْ) و(نأكلُ) الثاني تعدّى بمفعوله (الهاء) وكلا الحالتين فعل الأكل فيهما ليس مستساغا ممّا يعكس صورة الكناية عن صفة غير محمودة كان الرجل وأصحابه يمارسونها , ولذا ركّز ابن سيرين كمتلق للخطاب على الفعل (نأكل) باعتباره أحد الرموز الجوهرية إذ أوّله بالاغتياب مثبتا ذلك بتكرار الكناية في قوله (تأكلون من لحمه) وهي كناية عن صفة الاغتياب لأمير المؤمنين في نص التأويل .

كمّا فعّل الكناية في آخر النص في قوله (أمّا العسل فشيء تزينون به كلامكم) كناية عن صفة الاغتياب في عِرض الخليفة الذي ظهر كنّاية أيضًا في قوله (أمير المؤمنين) كناية عن موصوف هو (عمر بن عبد العزيز)[1] .

ومن جماليات خطاب هذه الرؤيا حسن التناغم في الوصف والانسجام في بنائه والاتساق في تراكيبه بين (الفطرة) وهي الخِلقة السّليمة أو دين الإسلام الذي فطر الإنسان عليه جِبْلّةً وبين (رأس الجمل) الذي هو رمز لأمير المؤمنين في التأويل وهذا التحول الحاصل لما في القدح (العسّ) من لبن إلى رأس جمل دليل على الانسجام والتناسق بين لفظة فطرة كدين وبين الخليفة كرجل قائم على هذا الدين .

وقد اقتبس ابن سيرين رمزية الرغوة من القرآن الكريم من الآية الواردة في سورة الرعد كدليل قطعي مسفّه لفعلهم وجرْمهم ,وحجة القرآن لا يمكن ردّها بالنسبة للمسلمين , وتوظيف الآيات القرآنية أضفى على الرسالة قوة فعّلت الوظيفة الشعرية كمحرّك جمالي داخل النص وهو الأمر نفسه

[1] – وهو أحد خلفاء بني امية ، اشتهر بالعدل والزهد .

الذي نلتمسه في استناد ابن سيرين لآية سورة (الحجرات) حيث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[1] وإن كان المعبّر هنا لم يشر إلى الآية ولكن هناك قرينة دالة على أنها هي الشاهد والقرينة لفظية في قوله " أنتم تغتابونه وتأكلون من لحمه " .

والملفت في خطاب ابن سيرين باعتباره مرسلا في حال تأويل الرؤيا، أن رسالته (نصّه) مبنية على ضمير الجماعة المخاطب مع أن الرائي واحد (رأيت) وهذا يشير إلى أن ابن سيرين يوّجه رسالة إلى الرجل وجماعته يتضمن الإنذار والتحذير من فعل الغيبة .

ومنه نستنتج أن قيمة الوظيفة الشعرية أظهرت لنا صورها الجمالية في نص هذه الرؤيا وكذلك نص المعبّر , هذه الجمالية التي ظهرت خصوصا في رسالة ابن سيرين المضمنّة صورة الإنذار من فعل الغيبة والنميمة .

وهذا النوع من الرسائل يطلق عليه في علم الرؤى (الرؤى الإنذارية) والتي تخص لإنذار الرائي من فعل شنيع يجب أن يقلع عنه أو إنذار من طارق في الليل أو في النهار ويدرج الصنف الثاني في رؤى التنبؤات المستقبلية .

ويؤكدّ الباحث سعيد يقطين أنّ " المرئي بمثابة رسالة رمزية تتراءى للرائي في المنام والمؤول هو وحده القادر على فك شفرة هذه الرسالة والكاشف عن محتواها التبشيري أو الإنذاري الذي يتوخى تغيير سلوك الرائي أو المؤول له وتنقله من حال لآخر" [2] .

وإذا كانت الوظيفة الشعرية تهتم بالرسالة كمجال رحب تشتغل فيه فهذا يجعلها تسلّط الضوء على دراسة خطاب الرؤيا من الداخل , دراسة صوره البيانية، متعمقة في بيان معانيه المحقق للشعرية

[1] - سورة الحجرات الآية 12 .

[2] – انظر: سعيد يقطين , السرد العربي :مفاهيم وتجليات , دار الأمان,ط1، الرباط . المغرب, 2012، ص 206.

وهنا يتدخّل المرسل إليه مفككا تلك الصور الرمزية موظفا آليات التأويل منطلقا من سطح الخطاب ومتجها إلى عمقه وباطنه .

6- الوظيفة الميتالغوية (ما وراء اللغة) : وتخصّ بالسّنن أي نظام الترميز أو التشفير , بحيث نجدّ أنّ كل تلك السّنَن يحتوي على رموز يوظفها المتخاطبان في العملية التخاطبية وبذلك يكون الاتصال قائما , حيث يوظّف الرجل رموزًا في خطابه ليتلقى ابن سيرين تلك العلامات المرموزة ويقوم بتفكيكها وتحليل شفراتها مركزًا على رمزية الأكل من رأس الجمل التي أولها بأن الجماعة تغتاب في أمير المؤمنين .

وبتتبعنا لتفصيل ابن سيرين للرموز وتأويله لها مستندّا إلى القرآن الكريم وإلى الثقافة الإسلامية والعربية نرصد الرموز الآتية :

1- اللّبن : ويرمز إلى الفطرة وهذه الرمزية متداولة في ثقافتنا الإسلامية فقد قُدّم إلى رسول الله صلى الله وسلم ليلة الإسراء والمعراج قدحيْن من لبن وخمر , فاختار رسول الله اللّبن فقال جبريل اخترت الفطرة ويؤكد ابن سيرين هذا التأويل في تفسيره بأنه " فطرة في الدين "[1] .

2- ما صُبّ في اللّبن : وأوّله ابن سيرين بما دخل في الفطرة من شيء وهنا يشير الإمام إلى أن الرجل وأصحابه أفسدوا دينهم وخلقهم بالغيبة .

3- الأكل من الرغوة : هو الكلام الممجوج بالغيبة لذا استدل ابن سيرين بالآية السابقة[2].

4- البعير : وأوله ابن سيرين برجل عربي والتأويل ذاته يؤكده في تفسيره إذ يقول : "والجمل الواحد رجل فإذا كان من العرب فهو عربي وإن كان من البخت فهو أعجمي "[3] ، وتأويل ابن

[1] -انظر : تفسير الأحلام الكبير , ص 92 .

[2] - الآية 17، من سورة الرعد .

[3] - ابن سيرين : تفسير الأحلام الكبير , ص 168.

سيرين لهذا الرمز وفق ما قرّره من أصول للرؤيا وعلى ذلك الأساس يمكن أن نخلص إلى ثلاثية التأصيل (الجنس والصنف والطبع) من هذه الرؤيا كالآتي :

1- الجنس و يمثل الحيوان عموما **2- الصنف** ويمثله البعير (الجمل) أحد أصناف الحيوان ، **3- الطبع** وتمثله صفة العربي طبع ذلك الصنف من الحيوان .

وتفكيك الرمز هنا كان مبنيا على ثقافة ابن سيرين في مجال تراث العرب الحيواني " وفي تراثنا العربي الأسطوري , فالجمل ذلك الحيوان المتميز باحتمال كل المشاق في مجتمعاتنا العربية المجدبة الصحراوية , وهو كرمز للجد واحتمال المشاق كما يتضح من النماذج الشعرية والفولكلورية الذي يذخر بها تراثنا , فقد كانت أنثاه وهي الناقة من أقدم وأبرز المعبودات من آلهة , وطواطم عربية "[1].

و كان الاتصال قائما هنا من خلال نظام الترميز بين الرائي والمؤوّل متجليا في الوظيفة الميتا لغوية التي تحيل إلى الرمز والمترجمة له حسب خطاب الرؤيا , واللغة التي وظفها الرجل الرائي هي العربية تميّزت بالبساطة وقد تلقّاها ابن سيرين (المعبّر) بالتأويل بلغة عربية بسيطة كذلك .

5- رأس الجمل (البعير) : وأوّله ابن سيرين بأمير المؤمنين والمقصود (عمر ابن عبد العزيز) , وتأصيل هذا التأويل على حدّ تفكيك ابن سيرين لرمزه كان وفق تركيب منطقي أقامه الإمام مبنيا على ثقافة عربية متأصلة حيث أعتبر ابن سيرين الجمل رجل عربي والرأس أعظم ما في الجمل ومن ثمّ خلص إلى أن رأس العرب أمير المؤمنين .

6- الأكل من رأس الجمل : وأوّله ابن سيرين بالاغتياب في عرض الخليفة وهذا التأويل لم يكن عبثّيا بل وفق منهجية متّبعة مستندة إلى القرآن الكريم وإنْ لمْ يشرْ إلى الآية لكن تُفهم من السياق , والقرينة اللفظية الواردة في نص التأويل والآية من سورة الحجرات قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا

[1] – جورج كدر, معجم آلهة العرب قبل الإسلام , دار الساقي , ط1 , 2013 , ص 23 .

مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾[1] .

7- العسل : أوّله ابن سيرين بكلام الغيبة المتداوّل بين الجماعة , إذّ يظهر كلام الغيبة حُلو المذاق عند المتقوّل به وخاصة إن التقت الجماعة على ذلك حيث يكثر القيل والقال والهمز واللّمز.

وبعد عرضنا للرموز السبعة لهذه الرؤيا تظهر فاعلية الوظيفة الميتالسانية أو المسّماة بالمحققة للغة في إقامة الاتصّال بين الرائي والمؤول والعكس , كما تبدو لنا خبرة ابن سيرين التأويلية واستعانته بالقرآن الكريم وبالموروث الثقافي الإسلامي حيث " إنّ امتلاك المؤول للموسوعة في مختلف جزئياتها وتفاصيلها اللغوية والثقافية , وفي مختلف تجلياتها الخطابية والنّصية , لا يمكن أن يعصُّها سوى ذكائه في التمييز بين الخاص والعام , والظاهر والباطن , ويدفعه ذلك إلى إعمال النظر في كل ما يعرض إليه من مرئيات ومختلفة باختلاف أحوال ومراتب الرائين الرواة ليتمكن من قراءتها القراءة المناسبة " [2] .

[1] – سورة الحجرات , الآية 12.

[2] – سعيد يقطين , السرد العربي : مفاهيم وتجليات ,دار الأمان , الرباط . المغرب , ط 1 , 2012 , ص 215 .

أ)– نص الرؤية الثانية : أتى ابن سيرين رجلٌ فقال : " رأيت أن لحيتي بيضاء وأنّي أخضّبها فلا يعلق بها الخُضاب . وكان الرجل شابًا أسود اللّحية . فقال : البياض نقصٌ من ملكك وأنت تريد ستره . وقد علم به . قال صدْقتَ "[1].

ب)– تحليل الرؤيا وفق وظائف اللغة: (مع قراءة في الرموز وسيميائية اللون)

1– الوظيفة التعبيرية : وتسلط الضوء بقوة على المرسل حيث بإمكانها تحديد العلاقة بين المرسل ورسالته وسميّت لأجل ذلك بالانفعالية إذْ أنّ " المرسلة في صدورها تدل على طابع مرسلها وتكشف عن حالته فضلا بما تحمله من أفكار بشيء ما (المرجع) يُعبّر المرسل عن مشاعره حياله " [2] .

وتُعدّ هذه الرؤيا بمثابة الرسالة ورائيها هو مرسل خطابها إلى المعبّر ابن سيرين ويظهر لنّا تعجب الرائي من استحالة لحيته من السواد إلى البياض مما جعله متوتّرًا وقلقا من هذا الحال ولعلّ التخضيب هو انعكاس نفسي لعدم رضائه على ما آل إليه أمر ملكه ونستشف عدم الرضاء الدّاخلي من تأويل ابن سيرين (وأنت تريد ستره) وعملية السّتر دليل على أن هناك شيء في قلب الرجل ليس راضيا عنه مما دفعه إلى التوتر والقلق بل والتخوف على الملك .

وتظهر الوظيفة الانفعالية بقوة في خطاب الرجل ونكتشفها في خطاب نص التأويل وذلك من خلال طريقة نطق الرائي من جهة وطريقة تعبير المعبّر في التأويل من جهة ثانية , والمتأمل لتعبير (خطاب) الرجل وتعبير ابن سيرين يلتمس أنّ الرائي متعجب ومتوتر ومضطرب وكأنّه يوّد أن يقول لابن سيرين : أن متعجب مما رأيت وأشعر بالتوتر لأن هذه الرؤيا أفزعتني , فما تقول في هذا التحول الذي حدث للحيتي من السواد إلى البياض , بل وأتعجب لأن الخضاب لم يعلقْ بها ؟ .

[1] – تفسير الأحلام الكبير، ص 72 .

[2] – فاطمة طوبال ، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون ، المؤسسة الجامعية ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1993 ، ص 66 .

ليأتي جواب ابن سيرين كاشفًا لما آل إليه ملكه ومنبّهاً إيّاه على ما حصل ولذا جاء قول الراوي (وقد علم به) مؤكّدًا على صحة تأويل ابن سيرين بل وتصديق الرائي في حدّ ذاته وكأنه يقول لابن سيرين : نعم هناك نقص في ملكي وأنا أحاول ستره .

ودخول عنصر الراوي في خضم خطاب الرؤيا يوحي بتفاعل الحضور بما شاهد هذا الرجل الشاب ودليل على تعجبهم والراوي أحد الحضور في الحلْقة ويمكننا أن نوزّع تعجب الراوي واندهاشه بين الرائي والمعبّر أمّا تعجّبه من ابن سيرين لمعرفته حال الرجل وكشف أن ملكه فيه نقص وقرينة ذلك قوله ((وقد علم به)) بمعنى ان ابن سيرين لا علم له بملك الرجل ولكن من خلال رموز رؤيته علم بنقص في ملكه وتوظيف (قد مع الماضي) شاهد لغوي على تأكيد التعجب الحاصل للراوي كما هو الحال في توظيف (أنّ المؤكدة) في خطاب الرائي كشاهد لغوي على تعجبه من حاله .والجملة (صدقت) في خطاب الرائي تعكس الارتياح النفسي لما أوّله ابن سيرين , والتصديق قيمة أخلاقية تعبّر عن صفاء صاحبها وعفّة نفسه وتعكس قيمة ابن سيرين في عصره , ذلك العالم الخبير بتأويل الرؤيا فهو مَوْئِل السائلين ومقصد الحائرين مما أفزعهم من منام .

و تمظهرت الوظيفة الانفعالية التعبيرية في توظيف التوكيد بالأداة (أنّ) وياء المتكلم في (لحيتي) وتوظيف ضمير المتكلم في (رأيت) وعلى أساس هذا التمظهر يرى جاكبسون " أنّ المرمَّز يعرف ماذا يريد ؟ أن يثبتّ فيستعمل على الصعيد الدلالي الوحدة الأكثر اتساعا مرورا بتسلسل المكونات المباشرة للجملة " [1].

2– الوظيفة الإفهامية : من خلال هذه الرؤيا يحاول الرائي التأثير على المعبّر من خلال خطاب نص رؤيته وتتمظهر هذه الوظيفة على سطح ذلك الخطاب ليتميّز أسلوب النص الرؤيوي بميزتين الأولى تفعّل التأثير وذلك بتوليد المفاجأة والثانية تفعّل عنصر الإثارة .

[1] - جميل حمداوي ، التواصل اللساني والسيميائي والتربوي ، ط1 ، 2015 ، ص 70. انظر :www.alukah.net

وبصمات التأثير تظهر في قوله (رأيت لحيتي بيضاء) وقوله (وأني أخضبها فلا يعلق بها الخضاب) فالرجل الرائي أراد أن يفاجئ ابن سيرين ويؤثر عليه , فالمفاجأة الأولى تحّول لون لحيته من السّواد إلى البياض ودليل ذلك قول الراوي (كان رجلا شابًا أسود اللّحية) ,أمّا المفاجأة الثانية فلكون الخضاب لم يعلق بلحيته ومن طبيعة الخضاب أنّه يعلقُ .

وتتجلّى الوظيفة الإفهامية التأثيرية من خلال عنصر المفاجأة في الحدث اللساني الذي أحدثه الرائي موجَّهًا إلى المرسل إليه , فهذا الأخير هو المقصود في العملية التأثيرية " وبذلك نجد المتلقي كما يذكر سعيد يقطين يتحول إلى مؤول ويتجاوز دوره كمُرْوَى له يتلقى (نصًّا) [1] .

إذًاً هناك فرق بين المتلقي وبين المؤول على حد قول سعيد يقطين أمّا الأول فدوره هو تلقي النّص وليس بالضرورة أن يفسره أو يؤولّه لأن خطاب النص الرسالة واضحًا ليس في بنيته ما يستدعي التأويل أو التفسير وباعتبار خطابه خاليا من عنصر الرمز , أمّا المؤوّل ويكون النّص الموجّه إليه شحن بطاقة المفاجأة فأثرت في نفسه فاستدعى الأمر أن يؤول تلك الرموز التي أرسلها الرائي وهذه مهمة الوظيفة الإفهامية , فنص الرؤيا المرمزّ المشحون بالرموز يستدعي التأويل (وجود مؤول) والنص غير المرمز (الخالي من الرموز) لا يستدعي تأويلا ويتلقاه المعبّر فقط , و عليه فكل مؤول هو بالضرورة متلقيا وليس كل متلقٍّ مؤوّلاً بالضرورة .

وتتفعّل الوظيفة الإفهامية من جهة الإثارة وهي العنصر الثاني المميّز لأسلوب الخطاب في التأثير على المؤول (المرسل إليه) وفي هذه الرؤيا تظهر إثارة الرجل الرائي بخطابه لابن سيرين ممّا دفع هذا الأخير للردّ على الشاب وتأويل رؤيته وهنا نلتمس أن الرائي تمكن من استفزاز المؤول مما جعله يشغّل فكره وخبرته الثقافية والعلمية لمعرفة رمز اللحية والبياض والخِطابْ .

ودليل آخر على نجاح ابن سيرين في تفكيك تشفير قول الرائي (صدقت).

[1] - سعيد يقطين ، السرد العربي ، ص 199.

بمعنى أنّ هناك واقعا يعيشه الشاب هذا الواقع يتمثل في أنّ ملكًا محافظًا عليه , ولكن ذلك الملك أصابه النقص من أحد أطرافه مما دفعه إلى ستره (أي ستر النقص الحاصل) فانعكس هذا الحال في مشهد رؤّيا .

3– الوظيفة الإنتباهية : تشتغل هذه الوظيفة على مستوى القناة حيث يشترك فيها المرسل والمرسل إليه والغاية من ذلك إقامة الاتصال إمّا لتأكيده ليمتدّ أو لفهمه وقطعه , واشتراك الرائي والمؤّول في هذه الوظيفة يجعلهما يتبدلان عامليْ الاتصال فإذا كان عامل المرسل في العملية التواصلية هو الذي يبثّ الرسالة عبر قناة معينة والمرسل إليه هو المتلقي لتلك الرسالة , فإنّ المرسل إليه سيكون حال التأويل هو المرسل إليه ويتحول هذا الأخير إلى متلقي خطاب ذلك التأويل .

إنّ استهلال الرؤيا بالفعل (قال) دليل واضح على اتصال الشاب الرائي بابن سيرين وسرد له رؤيته كما أن الفعل (أتى) يؤكدّ أنه قصد حلْقة ابن سيرين وقام بفعل المجيء وهو نوع من الاتصال الحركي , ووجود نص مرسل مرمّز من جهة الرجل وتلقيّه من جهة ابن سيرين شاهد آخر على حدوث التواصل وقرينته الفعل (قال) حيث كان ردّ فعل المؤول مفككا الرموز , وتأويل ابن سيرين دليل على حصول الاتصال .

وممّا زاد في قوّة الاتصال تصديق الرائي لابن سيرين بعد سماع تأويله للرؤيا فقال : (صدقت) وهو تواصل إيجابي لتحقيق قيمة التصديق .

4 . الوظيفة المرجعية :من خلال سياق هذه الرّؤيا نستدل على ابن سيرين كان يقيم حلقات علمية وربما يغلب عنها الجانب الديني باعتبار ابن سيرين رجل علم[1] ، ومن خلال سياق خطاب الرّجل له سرده لرؤيته يتبيّن لنا أنّه كان يتلقّى استفسارات عن رؤى الوافدين إليه .

[1] - كان ابن سيرين محدثا ، يروى عن الصحابة ، كما اشتهر بحلقات الفقه والتفسير .

ولعلّ لم يكن يقمْ مجلسا خاصّا بالرّؤى بل قد تتخلل دروسه وبالتّالي فورودها عرضا وليست حالا لازما في حلقاته وقد اشتهر ابن سيرين بتأويل الرّؤى .

كما أنّ الوظيفة المرجعية من خلال سياق الرّؤيا (النص) توحي بحال السّائل ، فالرجل لم يسأل ابن سيرين منفردا بل ورد إليه في جماعته (حلقته) وشاهد ذلك تعليق الرّاوي (وكان رجلا شابا ...) وهذا يثبت أنّ عرض الشاب كان في جماعه ، ومما نكتشفه أيضا من باطن الخطاب تفاعل الحاضرين في الحلقة والتّفاعل قد يكون مع السّائل أو (صاحب الحلقة) أمّا الأول فملاحظة الرّاوي (أحد الحضور) لسواد اللحية مع أنّ الرّائي رآها بيضاء في منامه .

أمّا تفاعل ابن سيرين فظاهر في سياق (وقد علم به) أي أنّ ابن سيرين بتأويله قد تمكن من اكتشاف شيء يخصّ الرّائي ونجد الرّاوي مندهشا لمعرفة هذا الأمر الغيبي ، ويدلّ أيضا على خضوعهم للمعرفة السّيرينية وخبرته في تأويل الرّؤى ، والمتأمّل لسطح خطاب الرّاوي(قد علم به) نجده مصدِّرا بأداة التّأكيد (قد) المرتبطة بالماضي وهذا يوحي إلى التّيقّن بخطاب ابن سيرين التّأويلي وبمصداقية تفسيره واكتشافه لخصوصيّة الشّاب .

ومن خلال هذا العرض وتفعيل الحلقات العلمية نلتمس اهتمام النّاس بالعلم وشغفهم بالمعرفة الدّينيّة والرّؤى زمن ابن سيرين التّابعي ويثبت هذه الفكرة ورود الشّاب الرّائي وحضور الجماعة إلى الحلقة لأنّ من أدبيات الحلقات ورود المتطلّعين للمعرفة إليها ، إذ مصطلح (الحلْقة) أصلا من معانيه ما يدلّ على الاستدارة أي تشكّل دائرة ومن المعروف أنّ الشيخ (الإمام) يتصدّر الجماعة ثمّ

يتحلّق الجمع من حوله للسّماع والأخذ ولذا نجد ابن فارس في مقاييسه يقول في مادة (حَلَقَ) ... والحِلْقُ : خاتم المِلْك وهو لأنّه مستديرٌ . وعليه فنظام الحلقة يستلزم الجماعة .

ويظهر لنا بجلاء تفاعل الرّائي في رؤيته بقوله (صدقْتَ) وهذا يعكس حسن الاستماع والأدب الرّاقي الذي يتحلّى به الرّجل فبمدرّد مطابقة التّأويل لواقعه صدّق قلبيا ثمّ أكّد تصديقه بالتّلفّظ (صدقْتَ) وفي ذلك إشارة إلى تحلّي المسلم بأدبيات وأخلاقيات دينه الحاثّة على الصّدق .

وعلى نسق ما حللنا ومن خلال نص الرّؤيا تُسفِر لغته سياقيّا عن مظهرين متلازمين هما (**المجلس والسّامع**) وخصوصا أنّ زمن الرّؤيا هو قرن التّابعين الزمن المزدهر علما ومعرفة في شتّى العلوم .

" واعتبر **المجلس** الفضاء أو المجال المتميّز للتّواصل الكلامي في الثّقافة العربية القديمة ، إنّه الفضاء الخاص بالإنتاج والتّلقي ... ويمكننا أن نفرّق بين مجالس (علنية) وأخرى (سرّية) وفي كل منها ... يمكننا الحديث عن طبيعة الثّقافة التي تنتج في نطاق هذه المقامات التّواصلية المهمة " [1].

ووفقا لهذا التّحديد المفاهيمي ندرك أنّ هذه الرّؤيا كانت في مجلس علني ينْبئ عن ثقافة كانت سائدة آنذاك هي ثقافة تأويل الرّؤى والتي تعكس أدب التّواصل الحاصل بين الرّائي المؤوّل .

أمّا **السّامع** . فكما يرى سعيد يقطين . " مشارك إيجابي في مقام التّواصل[2] أي متفاعل مع متصدّر الحلقة (الشيْخ) ، وبتأملنا لسياق هذه الرّؤيا يمكننا أن نكتشف نوعين من السّماع :

[1] . سعيد يقطين ، السرد العربي ، ص 132.
[2] . المرجع نفسه ، ص 134 .

الأوّل : لازم للمجلس وهم الجماعة والرّاوي أحدهم **والثّاني : عارض** وهو الشّاب الذي رأى الرّؤيا والقرينة (أتى ابن سيرين رجلٌ) إذْ يُعّدُ طارئا على الجماعة .

وقد عقد الباحث سعيد يقطين فصلا ناقش فيه فكرة المجلس والسّامع في الثّقافة العربية كذا الكلام والخطاب ، حيث تعرض إلى المجلس وأنواعه والمتكلّم والسّامع إلى التفاعل الحاصل فيه وشروط السّامع والكيفيّة والمحتوى وشروط المتكلّم .. [1]

5 . الوظيفة الشعرية : تهتم هذه الوظيفة بما تحتويه الرّسالة من صور بيانية وخيال يفعّل الشعرية في النّص لذا فهي ترتكز على عمق الرّسالة وباطنها ثم يقوم المتلقّي بتأويل رموز وصور ذلك النّص ، والمتقصّي لمعاني هذا النّص المنامي يتحسّسُ الكناية في قول الرّئي (رأيت أنّ لحيتي بيضاء) وهي كناية عن صفة التّحول من حال إلى حال إشارة إلى بياض الشّيب باعتبار الشّيب أبيض ملازما لكبار السّن ولكن صاحب اللّحية هنا شابٌ كما أورده الرّاوي (وكان الرّجل شابا) ، وعموما فإنّ صورة شيب اللّحية قد يحمل دلالة الإيجاب كما قد يحل السّلب في الإيحاء وعليه فهي توحي بالوقار والحكمة والثّبات كحال الشّيوخ ويجسّد هذا المعنى الشّاعر الميت ابن زيد في مطلع قصيدته

طرِبْتُ ومَا شوقاً إلى البِيضِ أطربُ ** وما لعباً مني وذوا لشيبُ يلعبُ . [2] .

والتّقدير . أذوا الشّيبِ يلعب ؟ ! أمّا بياض اللّحية السّلبي فهو الظّاهر على وجود الشّباب لأسباب خِلقيّة أو لأعراض نفسيّة أو مرضية فيراه صاحبه عيبا فيحاول ستره بالخضاب كحال هذا الشّاب .

[1] . المرجع نفسه والصفحة نفسها .

[2] - الكميت بن زيد ، ديوان الكميت ابن زيد ألأسدي ، جمع وشرح وتحقيق د. محمد نبيل طريفي ،دار صادر ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2000 . ص391.

والمتأمل في معنى الخطاب (وإنّي أخضّبها فلا يعلق بها الخضاب) يلتمس فيه كنايتين , الأولى في (وإني أخضبها) كناية عن صفة السّتر والإخفاء , والثانية (فلا يعلق بها الخضاب) كناية عن عدم جدوى التسّتر فهو في صراع من سِتْر ذلك البياض المعيب, ومنه احتّل اللون الأبيض والبرتقالي (الخضاب) رمزية خاصة منعكسة عن نفسية الشاب الرائي , وسنتعرض بالمناقشة والتحليل إلى دلالة الألوان ورمزيتها في الوظيفة الميتالسانية .

كمّا تصدّر الحرف (أنّ) الجملتين السابقتين والموحي بتأكيد الحالة النفسيّة التي يعاني منها هذا الشاب بسبب نقص ملكه , والنقص الحاصل هذا مجازي في سياقه , إذْ الملك لا ينقص وإنمّا تنقص مكوناته كالمال والعتاد والزرع ...الخ , والصورة المجازية نفسها تظهر في الخطاب (وأنت تريد ستره) فالذّي يستر هو المال أو العتاد ... أو غيره , وهذا المجاز كقولنا (جرّى النّهر) والأصل (جرى ماء النهر) لأن النهر لا يجري وإنما يجري ماؤه ومثل قوله تعالى :" **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا** " [1] والتقدير هو اسأل أهل القرية .والعبارة (صدقت) توحي بالكناية عن التأكيد لأنّ ما أوّله ابن سيرين للشاب هو مطابق لواقعه , ولذا بادره بالتصديق , لأنّ ابن سيرين كشف عن شيء غيبي لا يعلمه الجماعة الحاضرون مما أدهشهم فعبّر الراوي عن تعجبّه .

6- الوظيفة الميتالغوية : تهتم هذه الوظيفة بالسّنن أو الرموز كعامل في العملية التواصلية له فاعليتة في خطاب الرؤيا (النص) والذي يطبع الرؤيا غموضًا مما يستدعي المعبّر الذي يقوم بفكّ تلك الرموز والتشفير الغامض .ويرتكز هذا النص عامة على رمزية الألوان بصورة مكثفة , ورمزية اللحية وسنجزئ

[1] - سورة الكهف ، الآية 82.

النص إلى ثلاثة مقاطع ثم نحاول أن نحلل ألوان كل مقطع وفق النظريات الحديثة وآراء علم النفس في دلالات الألوان وتأثيرها على الإنسان وعكسها لأحواله النفسية .

واستنادا إلى تأويل ابن سيرين فإن في الرؤيا ثلاثة رموز وفكّكت كالآتي :

أ – اللحية : وأوّلها ابن سيرين بالملك ويوافقه النابلسي على ذلك إذ يرى أن اللحية تدل على " حانوته (أي الإنسان) وسببه ولباسه ومغرمه وربحه " [1].

ب – البياض : أوّله ابن سيرين بنقص من ملك الرجل , والبياض هنا سلبي مع أن اللون الأبيض عمومًا دلالته الطهارة والتفاؤل [2] , وربما تخريج ابن سيرين لدلالته لتعلّقه باللحية ومنه يأخذ الأبيض دلالة (الشيب) وباعتبار أنّ الشاب أسود اللحية في اليقظة واستحالت لحيته بيضاء أن أصابها الشيب في المنام فأوّل ابن سيرين بياض اللحية بالنقص ولذا نجده يقول في تأويلاته من ((رأى أنها شابت ... ولم يبق من سوادها شيء فإنه يفتقر ويذهب جاهه)) [3] ولعلّ أنّ هذا الشاب كان ميسور الحال ذا جاه ثم نازعه الإجهاد فنقص ملكه وهذا ما رآه ابن سيرين , وقد روى عنه أنه كان يكره بياض الشعر للشباب ويقول : ((الشيب الافتقار والهم)) [4] .

ج – الخُضاب : ولونه البرتقالي لأنه لون الحنّاء , وقدّ أوّل ابن سيرين الخضاب بالسّتر , فالشاب رأى أن ملكه لحقه النقص فبادره بالسّتر حتى لا يفتضح حاله , ويذكر الرّجل بأنه يخضّب لحيته

[1] – ابن سيرين و النابلسي ، الجامع لتفسير الأحلام وتعطير الانام ، ص 572 .
[2] – ينظر: أحمد مختار عمر ، اللغة واللون ، عالم الكتب ، ط2 ، للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1997 ، ص 200.
[3] – ابن سيرين ، تفسير الأحلام الكبير ، ص 81 . 82 .
[4] – المصدر نفسه ، ص 74 .

ولكن الخضاب لم يعلق بها , فجاء في التأويل كتفكيك لرمزية التخضيب أنه يحاول ستر النقص الحاصل لملكه ونجد أن ابن سيرين في تأويلاته يذكر أنّ الشّعر " إذا قبل الخضاب فإنه يرجع جاهه " [1] , ومفهوم المخالفة ندرك أن الشعر إن لم يعلق به الخضاب فإن جاه صاحبه يذهب ويتدنّى , وعمومًا فالخضاب في التأويل " سترٌ " [2] ، ويرى علماء النفس المحدثون أنّ اللحية " تدّل على أن شخصا غير متجانس معك سوف يفرض إرادته ضد إرادتك وسيكون ثمّة صراع للسيطرة ومن المحتمل أن تخسر بعض النقود في هذّا الصّراع " [3] ، ومن خلال هذا التأويل ربّما نجد بعض التقاطعات , بينه وبين تأويل ابن سيرين لرمزية اللحية إذ يشتركان في (الافتقاد) وتقصد الخسارة أو النقص وإن كان التأويل النفسي لم يربطها بالشيب (البياض) ، ويذكر ميلر: أن اللحية الشائبة ترمز إلى الحظ السيء والمشاجرات [4]

- **قراءة سيمولوجية في ألوان الرؤيا :**

1- اللون الأبيض : إنّ هذا اللون كلون ما لم يكن متعلقا بعضو أي شيء ما يرمز إلى " الطهر والبراءة والتفاؤل والرّضا ولجمال الذوق وللمهادنة والمسالمة " [5] , أما إن تعلق بالشيب فإن رمزيته تختلف وهذا حسب نوعية الشيب , أَهُوَ شيب لحية أم شيب رأس ؟ .

[1] – ابن سيرين ، تفسير الأحلام الكبير ، ص 81.

[2] – المصدر نفسه ، ص 80.

[3] – جوستاف ميلر ،موسوعة تفسير الاحلام ، ترجمة: هدى موسى ، ط1 ، 1990 . انظر: www.al/mastafa .com .

[4] – المرجع السابق ،81.

[5] - أحمد مختار ،اللغة واللون ، ص 205.

وعلى حدّ قول الرائي : " رأيت أن لحيتي بيضاء " فإن هذا البياض هو للشيب إذًا فتأويل اللون الأبيض أصبح سلبيًّا يعني الصّراع والمشاجرة على قول ميلر , والأبيض هنا يرمز للتحول من حال إلى حال وهذا الحال يراه صاحبه عيبًا فيحاول ستره , فالرجل مُضطرب نفسيا متوتر وذلك بإحساسه أن ملكه لحقه النقصان ومهدد بالزوال , ويؤكد هذّا التحوّل السلبي أن الرجل يتّسم باللحية السّوداء , وسواد اللحية هو الأصل أمّا البياض (الشيب) فهو عارض , ولذا اعتبر اللون الأبيض أحيانا لون التشاؤم والنحس , فلبسته بعض المجتمعات في المآتم والأحزان وعليه فليس غريبًا إنْ أوّله ابن سيرين في هذه الرؤيا بالنّقص فهو يحمل دلالة نفسية .

2- لون الخضاب : ويعكس اللون البرتقالي , فما رمزية هذا اللون ؟ لهذا اللون عند علماء النفس دلالتان الأولى إيجابية والأخرى سلبية , أمّا الرمز الإيجابي فالراحة النفسية والأمن والوفرة والفرح , أمّا السلبي فيعني الحرمان والإحباط والطيش وعدم النضج [1] , كما أنه مضاد بالإحساس بالهبوط والفتور والاكتئاب [2] , واعتبر اللون البرتقالي لون المجد والعظمة [3] .

واستنادًا إلى قول الرائي : " وإني أخضبها فلا يعلق بها الخضاب " نستدل على حالة التذمّر النفسي التي وصل إليها الشاب وتوتره الشديد وجاء الخضاب بالتخضيب ليعكس الألفة والعزة التي يرمز لها البرتقالي , ذلك المجد الحاصل له لوفرة ملكه والدليل نقص هذا الأخير لأنّ الخضاب لم يعلق بلحيته , وفيه إشارة إلى تراجع وجاهته وتدهور ملكه , ورمزية السّتر للخضاب تتضمن إشارة نفسية

[1] - انظر : www. neronet-academy.com- المقال : " الدلالات النفسية للألوان " ص 07 .

[2] – الموسوعة العربية ،التصنيف : تربية وعلم النفس ، المجلد 17 ، ص 230 . انظر الموقع : arab encyclopedia

[3] – إيمان عفان، دلالة الصورة الفنية دراسة تحليلية سيميولوجية لمنمنمات محمد راسم، رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2005/2004 ، ص138 .

تلخص في الخوف والتوتر , فدلالة اللون هنا معكوسة وهذه الرمزية مثل ذلك الإنسان الذي نام وهو عطشان فرأى نفسه يشرب الماء بنّهم , فشرب الماء وإن كان إيجابيا لكن في هذه الحالة سلبي لأنه يوحي بالاضطراب النفسي واللهفة الداخلية بسبب العطش ، وعليه فكلا اللونين (الأبيض والبرتقالي) أصبحا يوحيان نفسيا بالخوف والخشية من الإهانة , وكأنّ الشاب الرائي أراد أن يقول :إن ملكي عظيمٌ وقد أصابه النقص وأنا بذلك قلق متوتر أخشى الإهانةٍ ,والدليل على أن الإيحاء النفسي للأبيض أنسلخ من الإيجابية إلى السلبية قول ابن سيرين " البياض نقص" وخاصّة أن الشاب أسود اللحية ليظهر لنا التّحول الواضح من الأسود في اليقظة إلى الأبيض في المنام مما جعل الشاب في دوّامة نفسية مضطربة دفعته أن يَستُر ذلك البياض (الشيب) بالخضاب , فأصبح الخضاب البرتقالي موحيًّا بالإحباط والحرمان والذي في أصله لون العزّة والمجد والطاقة والإيجابية , إذًا فالبرتقالي بما فيه من الإيجابية فإنه يتضمن السّلبية أحيانا وذلك حسب الحال والمقام والمكان والزمان المتعلق به , وحسب هيئة صاحب اليقظة .

ويرى علماء النفس أن البرتقالي أيضًا منشط عام ومضاد بالإحساس بالهبوط والفتور والاكتئاب[1] , ولعلّ الشاب انشغل نفسيا بما حدث لملكه ولماله وأثّر ذلك على نفسيته في حالة الوعي ولما خلد إلى النوم تحرّر من وعيه فنشطّ اللاوعي أو عقله الباطن فعكس تلك الحالة المكتئبة في هذه الرؤيا وكما يذكر فرويد أن الأحلام هي انعكاسات نفسية لما لم يستطع تحقيقه .

[1] – ينظر: الموسوعة العربية ، مجلد 17 ، ص 230.

3- اللون الأسود : من المعلوم ان هذا اللون هو لون الحزن والكآبة , ويرى علماء النفس أنه يرمز للمحن والقبح والحزن والنحس والانقباض والمواقف غير المحبوبة [1] , فهو يزيد من الإحساس بالحزن وتعمق الإحساس بالذات ويمثل الخوف والغموض [2] ، وجاء ذكر الأسود في النص في إضافة الراوي (وكان الرجل شابًا أسود اللحية) وهو وصف دقيق للشاب موافق لفئته العمرية ولحالته الاجتماعية التي كان عليها ومنه اتخذ اللون الأسود سبيله ليرمز للقوّة والسيادة عكس المتعارف عليه على هذا اللون .

ولو دققنا في اشتقاق لفظة (الأسود) لوجدناها من السُّود أي السيادة والعظمة وهي رمزية اتخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يتعمّم العمامة السوداء في الحروب مع أنه لا يلبس الأسود وهذا إشارة إلى أن الموقف يتطلب السيادة والعظمة , فتعمم بالأسود وناسب الرأس مقام العلو والرفعة .

وفي هذه الرؤيا واستنادًا إلى أن اللحية ترمز للملك كما أوّلها ابن سيرين نجدها وُصفتْ بالسّواد ليرمز المشهد أنّ الرجل كان له ملك عظيم , ويتمتّع بسيادة ووجاهة اجتماعية وبسبب نقص من ملكه , رأى نفسه أبيض اللحية , ونلحظ الدقة في الوصف فالراوي لم يقل (وكان الرجل أسود اللحية) بل قال شابًا ، إذ أن مظاهر الشباب في اللون الأسود والشيخوخة في اللون الأبيض " [3]ومنه كان ذم الأبيض ومدح الأسود في هذا المقام .

[1] – أحمد مختار ، اللغة واللون ، ص 200.

[2] – ينظر: الموسوعة العربية ، ص 230.

[3] – حنان عبد الفتاح محمد مطاوع ، مقال :دراسة الألوان في الحضارة الإسلامية ، ص 438 .انظر : مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب ،ع 18

ويشير أحمد مختار أنه " لم يأت ذم الأبيض ومدح الأسود إلاّ في إحدى الحالتين

1- أن يكون البياض متعلقا بشيء يحسن السّواد فيه أو يكون السّواد أجمل في هذا الشيء .

2- أو في مجال المنافرة بين شخصين أبيض وأسود [1] .

فاللحية يحسن السّواد فيها ويُكره البياض , فالأسود هنا رمز للقوة والعطاء كما أن الشاب رمز للقوة والعطاء , فتناسب اللون مع العمر .

وإذا ركّزنا أكثر ربّما نكتشف بُعدًا نفسيًا آخر يوحي به الأسود المتعلق بوصف هذا الشاب واعتمادًا على رأى النفسانيين الذين يرون أن الأسود يعكس نفسية الخوف من المجهول والميل إلى التكتم " [2].

وعلى هذا الأساس فمن المحتمل أن ورود الشاب وجلوسه في الحلقة وسرده لرؤيته كان من الوجهة النفسية يشعر بالخوف من المجهول ويكتم تلك المشاعر لأنه يعلم أنه ملكه في نقص , وهذا ما جعله يصدّق تأويل ابن سيرين كما أنّ انبهار الراوي (وقد علم به) دليل على أن الرائي كان يكتم شيئًا ويستر نفسيته المضطربة .

وخلاصة ما ذكرنا عن اللون الأسود أنه يعكس نفسية القوة والطاقة في ذات الإنسان فهو إيجابي في مواقف وأحوال خاصة , وقد يعكس نفسية الخوف والتوتر فهو سلبيٌّ في أغلب أحواله ومواقفه .

[1] -أحمد مختار ، اللغة واللون ، ص 207.

[2] - المرجع السابق ، ص 229.

والتحول الذي حصل لملك الشاب هو الذي أدّى إلى تخوفه وتكّتمه , ودخول الأسود في النص ليس عبثًا كما أن الأبيض ليس هراءً في الرؤيا وقد عكس كلا اللونين نفسية الاضطراب خوفًا على الملك وعليه كان تأويل ابن سيرين مُصيبًا حينما أوّل البياض بالنقص .

الخـاتـمـة

نخلص في خاتمة بحثنا إلى نتائج أهمها :

1- النص المنامي نص مغلق لأنه خطاب قائم على الرمز مشبع بالدلالات مفعم بالإيحاءات ويقوم المؤول بتأويل شفراته .

2- يفضل ابن سيرين اعتماد مصطلح الرؤيا عن الحلم تماشيا مع المصطلح الأكثر دقة المضمن في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريق , وإن كان علماء النفس المحدثون يستعملون مصطلح الحلم .

3- وظف ابن سيرين مصطلحي :التأويل والتعبير وإن كان أكثر ميلا لاستعمال التأويل .

4- النص المنامي يتفاعل تفاعلا إيجابيا مع التحليل النفسي الذي عمل على سبر أغواره وفك شفرته وقراءة مكنوناته .

5- ابن سيرين رائد من رواد تفسير الأحلام في الثقافة الإسلامية ،إذ أصل لهذا العلم وضبط مصطلحاته وفق آليات وقواعد علمية خاصة .

6- للمتلقي دور في إنتاج النص المؤول نابع من النص المنامي .

7- الوظائف اللغوية التواصلية أثر فعال في الكشف عن الرموز والدلالات في النص المنامي وتأويله.

وفي الاخير يبقى النص المنامي مفتوحا للبحث والدراسة الأكادمية .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الحديث الشريف

أ)- الكتب :

1-أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ج3 ، دار الفكر ،دط ، بيروت لبنان ، دت .

2- أبو عبد الله شمس الدين محمد بن القيم الجوزية ، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ،مطبعة الآداب ، مصر، 1317هـ ، د . ط .

3- احمد بن علي بن حجر.فتح البارئ لشرح صحيح البخاري ، ج12 ، دار الرياض للتراث القاهرة مصر ،1986 .

4- أحمد مختار عمر ، اللغة واللون ، عالم الكتب للنشر والتوزيع ، ط2 ، القاهرة ، 1997.

5- إريك فروم ، اللغة المنسية ، مدخل إلى فهم الأحلام والحكايات والأساطير ، تر حسين قبيسي ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، د ت .

6- توفيق فهد ، الكهانة العربية قبل الإسلام ،تر: حسن عودة و رندة بعث ، تقديم رضوان السيد مطبعة سندباد ، د ط ، فاتريار ، باريس ، د . ت.

7- جميل حمداوي ، التواصل اللساني والسيميائي والتربوي ، ط1 ، 2015 ، انظر موقع الألوكة

8- جوستاف ميلر ،موسوعة تفسير الاحلام ، ترجمة: هدى موسى ، ط1 ، 1990 .

9- خير الدين الزركلي ، الأعلام قاموس تراجم ، ج4،دار العلم للملاين ، دط ، بيروت ، لبنان ،2002.

10- رضوان الصادق الوهابي ، الخطاب الشعري الصوفي والتأويل ، منشورات زاوية ، ط1

الرباط ، 2007.

11- رومان جاكبسون ، قضايا الشّعرية ، ترجمة محمد الولي ومبارك حنوز، دار توبقال للنشر ، ط 1، الدّار البيضاء ، المغرب ، 1988.

12- رومان جاكبسون ، محاولات في اللسانيات العامة ، منشورات دومنوي ، د ط ، باريس ، فرنسا ، 1970.

13- سعيد يقطين ، السرد العربي : مفاهيم وتجليات ،دار الأمان ، ط 1 ، الرباط . المغرب . 2012

14- سليمان الدليمي ، عالم الأحلام ،تفسير الرموز والإشارات ، دار الكتب العلمية ، ط1،لبنان 2006.

15- سيقمونت فرويد ، الأحلام ، عرض وتقديم مصطفى غالب ،دار الهلال ، د ط ، بيروت لبنان 1985.

16- شمس الدين محمد الذهبي ، سير الأعلام النبلاء ،ج4، مؤسسة الرسالة ، ط 11 ، الرياض . السعودية ، 1996 .

17- صلاح فضل، علم الأسلوب مبادؤه وإجراءاته ، دار الشروق ، ط1 ، مصر ، 1998

الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط1 ، جيجل . ا لجزائر، 2007.

18- طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، الرباط المغرب ، 2000.

19- عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، الدار العربية للكتاب ، ط3 ، تونس ، دت .

20- عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط1 ، بيروت . لبنان ، 2004

21- علاء الدين علي بن محمد (الخازن) ، تفسير الخازن ، ج 2، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت . لبنان ، 2004 .

22- علي أحمد عبد العال الطهطاوي ،تفسير الأحلام في كتاب الأئمة والأحلام ، بيروت لبنان ، دار الكتب العلمية،ط2، 2005.

23- علي زيعور ، الأحلام والرموز : أداة كشف وعلاج نفسي في مجالات الشخصية والاضطرابات النفسية والفكر ، دار المناهل ،ط1، لبنان ، 2002.

24- علي زيعور، تفسيرات الحلم وفلسفات النبوة ، دار المناهل ، ط1 ، يروت – لبنان، 2000.

25- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج9 ، مكتبة المعارف ، ط6 الرياض السعودية ، 1996 .

26- فاطمة طوبال ، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون ، المؤسسة الجامعية ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1993 .

27- كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج1 ، دار المعارف ، د ط ، لبنان . بيروت ، د ت

28- محمد بن سيرين ، تعبير الرّؤيا الصغير ، مطبعة المنار ، د ط ، تونس ، د ت .

29- محمد بن سيرين ، تفسير الأحلام الكبير ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 2000

30- محمد بن سيرين و عبد الغني النابلسي ، الجامع لتفسير الأحلام وتعطير الأنام ، تح : تامر عسكر ، دار الغد الجديد ، ط 1 ، المنصورة ، القاهرة ، 2007.

31- محمد علي التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ،تر علي دروج ، مكتبة لبنان ناشرون ج1 ، بيروت لبنان ، 1997 .

32- ميشال زكريا ، الألسنية علم اللغة الحديث :المبادئ و الأعلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط 2 ، لبنان ، 1983 .

33- نيريس دي ، الأحلام ؛تفسيرها ودلالاتها ، تعريب وإضافة : محمد منير مرسي ،عالم الكتب، ط1، القاهرة ،2004.

ب)- المذكرات :

34- إيمان عفان، دلالة الصورة الفنية دراسة تحليلية سيميولوجية لمنمنمات محمد راسم، رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2005/2004 .

ج) – المعاجم :

35- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور .لسان العرب .ج12، دار صادر، دط، بيروت، د ت.

36- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ،القاموس المحيط ،مؤسسة الرسالة، ط8 ، بيروت لبنان ، 2005

37- أبو الحسن أحمد بن فارس ،معجم المقاييس في اللغة ،دار الفكر للطباعة والنشر ، ط1 بيروت لبنان ، 2011.

د) – المواقع الإلكترونية :

41 - www.alfurat.com/www.cadmus.nesasy.org

42-www. neronet-academy.com

43-www.al/mastafa .com

44- www. arab encyclopedia

45- www.alukah.net

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
اهداء وشكر ...	
مقدمة	أ
الفصل الأول: الأحلام والرؤى: المفاهيم والأنواع والوظائف وآليات التأويل عند ابن سيرين	
المبحث الأول : تأصيل المفاهيم لغة واصطلاحا .	**06**
1 - مفهوم الأحلام .	**06**
2 - مفهوم الرؤى .	**06**
3 - مفهوم المنام .	**08**
4 – مفهوم التأويل والتفسير والتعبير .	**09**
5 – مصطلح الكهانة وعلاقته بالأحلام والرؤى .	**14**
المبحث الثاني:الأحلام والرؤى:الأنواع والوظائف وعلاقتها بالتحليل النفسي	**17**
1 – **أنواع الأحلام والرؤى .**	**17**
أ- المطابقة للأصل .	**17**
ب- التنبؤية .	**17**
ج - الرمزية .	**18**
د- المتكررة الحدوث .	**18**
هـ – المشتركة .	**19**
2 – وظائف الأحلام والرؤى .	**19**
أ- تطهير الماضي .	**19**
ب- تكييف الواقع وتغطية النقائص .	**19**
ج - تكييف المستقبل والتوقع والتنبؤ .	**19**
المبحث الثالث : الرؤيا عند ابن سيرين أصول التعبير وآليات التأويل .	**24**

تمهيد : ترجمة ابن سيرين واهتمامه بعلم الرؤيا	**24**
أ- مولده .	**24**
ب- عصره .	**24**
جـ- خبرته في تأويل الرؤى .	**25**
د- الكتب المنسوبة له في تأويل الرؤى .	**27**
1- أنواع الرؤيا عند ابن سيرين :	**29**
أ- رؤيا من الله .	**30**
ب- رؤيا من الشيطان .	**30**
جـ- رؤيا من حديث النفس .	**30**
2- أصول الرؤيا عند ابن سيرين :	**31**
أ- أصل الجنس .	**31**
ب- أصل النوع .	**31**
جـ- أصل الصنف .	**31**
3- آليات التأويل عند ابن سيرين :	**32**
أ- من لفظ الإسم	**32**
ب- من لفظ معناه	**33**
جـ- من ضدّه	**33**
د- من اشتقاقه	**33**
هـ- بالزّيادة والنّقصان	**33**
4- درجات تعبير الرؤيا عند ابن سيرين :	**33**
أ- باختلاف أحوال الأزمنة والأوقاف	**34**
ب- من كتاب اللّه	**34**

جـ- من حديث رسول صلى الله عليه وسلم	**34**
د- من الأمثال السّائرة	**34**
هـ- بصرفها عن الرّائي إلى نظيره وسميّه	**34**
الفصل الثاني : تلقي نصوص الرؤيا عند ابن سيرين قراءة في سميائية الرمز والأبعاد الدلالية .	
تمهيد : الرؤيا عند ابن سيرين ووظائف الاتصال بين الرائي والمؤول .	**36**
المبحث الأول: النص الأول لابن سيرين بين تلقي الرؤيا ووظائف الاتصال.	**41**
1- نص الرؤيا الأول .	**41**
2- تحليل الرؤيا وفق الوظائف اللغوية .	**41**
المبحث الثاني:نصًّا الرؤيا عند ابن سيرين:قراءة في الرموز و سيميائية اللون	**46**
1- نص الرؤيا الأولى .	**46**
2- تحليل الرؤيا (مع رصد للرموز) .	**46**
3- نص الرؤيا الثانية .	**54**
4- تحليل الرؤيا (مع قراءة في سيميائية اللون) .	**54**
الخاتمة .	**69**
قائمة المصادر والمراجع .	**71**
فهرس المحتويات .	**76**